كتاب الكبائر

لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب

شرح الأستاذة

أُناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْم يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

فهرس الجزء الثّالث

كتاب الكبائر

لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب

اللّقاء الحادي عشر _____ ٤

باب الفرح _____ ٤

اللّقاء الثّاني عشر _____ ٣٢

تابع باب الفرح _____ ٣٢

اللّقاء الثّالث عشر _____ ٦١

تابع باب الفرح _____ ٦١

اللّقاء الرّابع عشر _____ ٩١

تابع باب الفرح _____ ٩١

اللّقاء الحادي عشر

٢١ ربيع الأوّل ١٤٤٠هـ

باب الفرح

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن أهله وخاصّته، اللّهمّ آمين.

هذه المجالس -إن شاء الله- سنذكرها ذكرًا طيّبًا حين نلتقي في جنّات النّعيم، اللّهمّ آمين، تكون لنا صفحة بيضاء، ونورًا وضياء عند ربّ العالمين.

كنّا قد بدأنا الكلام عن الكبائر، فيما ما مضى من لقاءات، وانتهينا من كبائر عظيمة، من كبائر القلوب، وهذا شأن عظيم يبقي الإنسان دائمًا يُفكّر فيه، أنّ السّبق إلى ربّ العالمين يكون أوّلًا بما قام في القلب؛ ولذلك الله -عزّ وجلّ- قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[1]، فأوّلًا ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، أوّلًا اليقين بالله، أوّلًا معرفة الله، أوّلًا التّوجّه إلى الله، ثمّ بعد ذلك تُعالج نفسك، تُعالج نفسك حتّى تبلغ الاستقامة.

وكنّا تكلّمنا في هذا المعنى، وقلنا: إنّ من الطّبيعي أن تخافي من **الرّياء والسّمعة**؛ لأنّك قلتِ: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، وها أنت تريدين أن تستقيمي. لا تأتي

---

(١) فصلت: ٣٠.

الاستقامة مفاجئة ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، ﴿ثُمَّ﴾ تعني أن هناك وقت؛ لأنّ ﴿ثُمَّ﴾ **هذه يُقصد بها**: التّرتيب مع وجود الفارق الزّمني.

﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ تعني: سنبذل جهودنا لنستقيم؛ فالاستقامة في الأصل استقامة قلب، ثمّ يلحقها استقامة الجوارح؛ ولذَا إذَا أردت أن يستقيم قلبك، ثمّ تستقيم جوارحك، لابدّ أن تتعلّمي ما هو الحقّ، من أجل أن تستقيمي عليه، وما هو الباطل من أجل أن لا تنحرفي إليه، أي أنك لا تستطيعين أن تقيسي الاستقامة، إلّا حين تعرفين زاوية الحقّ، وزاوية الباطل.

ولذلك إذَا كتبت بيدك على صفحة بيضاء، غير مسطّرة، تظنّين نفسك أنّك تسيرين على الصّراط المستقيم، بعدما تنتهين من السّطر تجدين نفسك قد مِلْتِ! والسّبب ماذا؟ أنّه ليس هناك سطر. فهذا السّطر كأنّه العلم، العلم من الزّاويتين:

⇐ من زاوية ما هي الاستقامة؟

⇐ وما هو الانحراف؟

وأعظم ما يكون من شأن الاستقامة ماذا يكون في قلب المستقيم؟ لأنّ هنا الأزمة:

⇙ ماذا يكون في قلب المستقيم؟

⇙ وماذا لا يكون في قلب المستقيم؟

فجاءت الكبائر القلبيّة تقول: ماذا يكون أو ماذا لا يكون؟ الكبائر ماذا تقول؟

- ماذا لا يكون؟
- ماذا لا يكون في قلبك؟
- ما هو الشّيء الّذي يلزم أن تخرجه من قلبك؟

لكن أوّل ما أقول: (ماذا لا يكون؟)؛ فإنّه لابدّ أن أقول: (ماذا يكون؟). فإذَا تكلّمنا **مثلًا** عن **الكِبْر**، عن **العُجْب**، ماذا سنقول في مقابلها؟

⇐ **الكِبْر** لا يكون في قلبك؛ **إذًا**: ماذا يكون في قلبك؟ **التّواضع، الانكساروالذّلّ**.

⇐ **العُجْب** لا يكون في قلبك؛ إنّما نسبة النّعمة إلى الله -عزّ وجلّ- وذكر الله، وبقاء الطّلب من الله، معرفة أنّ المنّة ابتداء من الله، وانتهاء من عنده سبحانه وتعالى.

⇐ **الرّياء والسّمعة** لا يكون. ما الّذي يكون؟ الاستقامة على **الإخلاص**.

«الفرح»

التّعليق على دليل موطن سورة آل عمران (١٢٠)

اليوم ستأتينا كبيرة من الكبائر القلبيّة، لكن لن أقول صعبة! هي ليست صعبة؛ وإنّما هي عجيبة لقلّة طرحها! **وهي**: كبيرة **الفرح**؛ وهذه الكلمة -كلمة **الفرح**- أصبحت عند النّاس بمثابة مقصدًا! أو هدفًا! أو غاية! ويقرنون بين **الفرح** والسعادة، فيجعلون **الفرح** هو السّعادة!

فنحن الآن لن نتعجّل، سنقضي يومنا هذا حول: ماذا قال الله في القرآن عن **الفرح**؟ من أجل أن تعرفوا أنّ هذه الكلمة قد تكرّرت في كتاب الله، وأنّ شعور **الفرح** من المشاعر المطلوب منّا ضبطها؛ لأنّني حين أقول لك: كونك تفرحين فهذه كبيرة. هذه صدمة! مباشرةً سنتصوّر أنّ المطلوب هو الحزن! وهذا ليس المراد؛ لذلك نحن نؤكّد:

⇐ إذَا نفينا **الرّياء والسّمعة** ما هو المطلوب؟ الإخلاص.

⇐ إذَا نفينا **الكِبْر**؟ التّواضع.

⇐ إذَا نفينا **العُجْب**؟ نسبة النّعمة إلى الله.

⇐ بقي إذَا نفينا **الفرح** ماذا سنعتقد؟ من أجل ذلك لابدّ أن نقرأ القرآن، ماذا قال عن **الفرح**؟ وإنّ من أوّل العجائب أنّكنّ تَرَيْنَ تكرار الكلام عن **الفرح** في القرآن.

فاليوم سنقضي يومنا في الكلام هذا، الّذي هو **"الفرح في القرآن"** وهو كلام عظيم، ويدلّنا على أنّ كلّ تفاصيل أفعال قلوبنا موصوفة في كتاب الله، فقط بقي أن نفهمها من أجل أن نستقيم.

سنقول: **ورد الفرح في القرآن مذمومًا وممدوحًا**. سنقرأ الآيات، نتأمّلها، **ونرى المذموم** منها، **والممدوح** منها.

سأقول لكم رقم الآية، وأنتنّ بأنفسكنّ ستقرأن الآية، ونقرأها سويًّا، وبعد ذلك نحدّد هل هو **ممدوح** أو **مذموم**؟ سنبدأ **بسورة آل عمران**، الآية (١٢٠):

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[١].

من أجل أن نعرف هذا **الفرح** ما نوعه دعنا نرى: من هم هؤلاء؟ هيّا انظري للسّياق. من أوّل السّياق هم من؟

لو وصلتِ إلى الآية (١١٨)، فإنّ فيها الخطاب للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾ من؟ ﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُم﴾ ما هي حالتهم؟﴿لَا يَأْلُونَكُم خَبَالًا﴾[٢].

يعني: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة. السّياق إذًا على من؟ السّياق على المنافقين، الّذين حكمهم أنّهم كفّار، يعني المنافقون نفاقًا أكبر،

---

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) آل عمران: ١١٨.

وهو: كلّ نفاق ورد في القرآن، فكلّ النّفاق الّذي ورد في القرآن هو النّفاق الأكبر، الّذي يُقصد به النّفاق الاعتقادي، الّذي حكمه: الكفر؛ وهذا النّفاق الاعتقادي غير النّفاق العملي، الّذي هو «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1]؛ فإنّ هذا العملي يسمّى نفاقًا أصغرًا، وصاحبه لا يُعتبر كافرًا، بينما هنا الكلام عن المنافقين، الّذين حكمهم أنّهم كفار.

الآن ما حالهم في **الفرح**؟ ﴿إِن تَمسَسكُم حَسَنَة تَسُؤهُم﴾، وهذا يعني: حال كلّ الكفار. ﴿إِن تَمسَسكُم حَسَنَة تَسُؤهُم﴾، ﴿وَإِن تُصِبكُم سَيِّئَة يَفرَحُواْ بِهَا﴾؟!

﴿يَفرَحُواْ بِهَا﴾ الفرح بها هنا، يعني: إظهار الشّماتة في المؤمنين، معنى ذلك: أنّ هذا من **الفرح المذموم**، وهو فرح لا يحصل من المؤمن، يعني: المؤمن لا يمكن أن يفرح بمصائب المؤمنين؛ ما يفعل هذا إلّا كافر؛ إمّا كفر صريح، وإمّا كفر من النّفاق!

إذًا: ذُمَّ هذا النّوع، وصار **الفرح** هنا، **الفرح** بالمصائب الّتي تنزل على المؤمنين، دليل النّفاق على الأقلّ، **دعنا نقول**: دليل ضعف الإيمان الّذي من ورائه سيأتي النّفاق. **إذًا**: أكيد هذا **الفرح** ما نوعه؟ أكيد أنّه مذموم، **لكن المهمّ**: هل تصورّتنّ الآن كيف يأتي الخبر؟ أتى الخبر: بأنّ هؤلاء ﴿إِن تَمسَسكُم حَسَنَة تَسُؤهُم وَإِن تُصِبكُم سَيِّئَة يَفرَحُواْ بِهَا﴾؛ فهذا نوع من **الفرح**، الّذي هو **الفرح** بمصائب المؤمنين.

---

(١) اخرجه البخاري (٥٧٦٦).

لو أنّ المؤمنين الّذين حصلت لهم المصيبة، لم يكونوا من أحبابي وإنّما من أعدائي، أيّ شيء من هذا الّذي يكون بين المسلمين؛ سيبقى **الفرح** بمصائب المؤمنين دليلًا على ضعف الإيمان، يعني: إلّا عند المصائب فإنّه ما يكون **الفرح** بالمؤمنين.

سنترك هذا النّص في **آل عمران**، وقد فهمنا أنّ **الفرح** الآن **فرح مذموم**، الّذي هو في الآية (١٢٠).

التّعليق على موطن سورة آل عمران (١٧٠)

سنذهب إلى **آل عمران**، الآية (١٧٠):

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

في أيّ سياق؟ من الآن الّذين هم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ﴾؟ الشّهداء ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضلِهِۦ وَيَستَبشِرُونَ﴾ أيضًا ﴿بِالَّذِينَ لَم يَلحَقُواْ بِهِم﴾؛ **فإذًا**: هذا فرح **محمود**. لكن أين مكانه هذا **الفرح المحمود**؟ في القبر، الّذي هو في بداية الآخرة.

سنكتب بين قوسين: (إنّ هذه السّعادة أو هذا **الفرح**، سيكون جزءًا من الدّار الآخرة. -فيكون ليس بالضّبط موضوعنا هنا- لأنّه جزء من الدّار الآخرة ونحن بصدد التّفكير هنا في الدّنيا:

- ما هو **الفرح المحمود**؟

---

(١) آل عمران: ١٧٠.

ما هو **الفرح المذموم**؟

التّعليق على دليل موطن سورة آل عمران (١٨٨)

سيأتينا الموطن الثّالث، ستكون أيضًا **آل عمران**، الآية (١٨٨):

﴿لَا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحمَدُواْ بِمَا لَم يَفعَلُواْ فَلَا تَحسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِۖ وَلَهُم عَذَاب أَلِيم﴾.

هنا السّياق في المنافقين وفي أهل الكتاب عمومًا، وحين نتناقش في **الفرح** ونجد مثلًا المنافقين؛ فإنّ المنافقين مع الكفار مرّة واحدة.

إذًا: السّياق هنا في المنافقين وفي الكفّار. ما هو **الفرح** هنا؟

دعنا نفهم ما هو أصلًا؟ مادام أنّه في الكفّار والمنافقين فإنّه أكيد سيكون مذمومًا، لكن هم يفرحون بماذا هنا؟ يفرحون بأمرين:

الأمر الأوّل: ﴿بِمَآ أَتَواْ﴾ هُمْ من قبائح، من مصائب، من فجور، من ذنوب، من معاصٍ، أي: يفتخرون بها، يفتخرون بالذنوب والمعاصي الّتي فعلوها.

ليس هذا فقط! فلا يفرحون فقط بالذّنوب والمعاصي الّتي يفعلونها، كذلك يأتي الأمر الثاني: أنّهم ﴿يُحِبُّونَ أَن يُحمَدُواْ بِمَا لَم يَفعَلُواْ﴾! المقصد: يحبّون أن يثني عليهم النّاس بما لم يفعلوا من أفعال الخير، يعني هم يفرحون بأفعال الشّرّ أو أفعال القبائح الّتي تمكّنوا منها! متى ما تمكّنوا من قبيحة فرحوا بها: استطاعوا أن يسرقوا مثلًا، استطاعوا أن يرابوا، استطاعوا أن يغشّوا أحدًا، واضربي من الأمثلة الّتي تريدينها: استطاعوا أن يزنوا،

استطاعوا أن يشربوا الخمر، استطاعوا، جاءهم ما يريدون؛ ماذا يحصل لهم؟ يفرحون!

إذًا: هم يفرحون بالمعصية! وفي نفس الوقت يحبّون أن يحمدوا أنّهم من أهل الطّاعات! ويظنّون أنّ هذا ينجّيهم عند ربّهم! والله مطّلع على ما يفرحون به، **معنى ذلك**: أنّ **الفرح** بالتّمكّن من المعصية من علامات النّفاق؛ وإنّ هذا هو النّفاق الأكبر! يعني: النّفاق الأكبر الّذي هو الاعتقادي. إذَا فرح الإنسان بتمكّنه من المعصية، فهذا يُشير إشارة خطيرة، إلى ضعف الإيمان الشّديد!

إذًا أكيد: أنّ هذا **فرح مذموم**! نحن واضح لنا أنّه فرح مذموم، **لكن السّؤال الآن**: فرحوا بماذا؟ فرحوا بما تيسّر لهم من أسباب المعاصي، أو يفرحون بما أتوا من المعاصي!

الآن كم آية أمامنا؟ ثلاث آيات كلّها في **آل عمران**، آيتان منها في **الفرح المذموم**:

الآية الأولى: أنّ المنافقين والكفار يفرحون بمصائب المؤمنين.

الآية الثّالثة: أنّ المنافقين يفرحون بما أتوا من قبائح.

انتهينا الآن من **آل عمران**.

التّعليق على دليل موطن سورة الأنعام (٤٤)

لا زلنا نبحث في الكلام عن **الفرح**، سنذهب من **آل عمران**، إلى **سورة الأنعام**، الآية (٤٤):

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحنَا عَلَيهِم أَبوَابَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذنَٰهُم بَغتَةً فَإِذَا هُم مُّبلِسُونَ﴾[١].

هذه الآية ما تُفهم جيّدًا إلّا حين نفهم سياقها. **انظرن**: من الآية (٤٢):

﴿وَلَقَد أَرسَلنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبلِكَ فَأَخَذنَاهُم بِالبَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعُونَ﴾[٢].

لماذا تقع البأساء عليهم والضّرّاء؟ لكي يتضرّعوا؛ وهذه حال حتّى المؤمنين، يعني: حتى المؤمنين بربّهم طالما أنّهم في رخاء ما تجدِين تضرّعًا منهم! لكن تنزل عليهم البأساء والضّرّاء فيحصل التّضرّع، لكن الكلام هنا عن الكفّار، أنّهم يصابون بالبأساء والضّرّاء لأجل هذه الغاية؛ لأنه طالما أنّ الإنسان صحيح ببدنه -مثلًا- ما يشعر أبدًا أنّه فقير إلى ربّه، والله هو الّذي أصحّ له بدنه! فبقاء الوضع جيّدًا في صحّته؛ الشّيطان يصوّر له أنّه في غنًى عن ربّه! ما يدري أنّ صحّته الجيّدة إنّما هي من آثار قيّوميّة الله عليه.

وهكذا الأرزاق الّتي تجري على الخلق؛ تجري لأنّ الله رزّاق. يظنّون أنّها تجري لأنّ الأرض خصبة؛ لأن التّجارة قائمة؛ لأنه كذا وكذا من الأحوال، فيصيبهم الله بالبأساء والضّرّاء من أجل أن يحصل منهم التّضرّع، فيبتليهم الله بشدّة

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) الأنعام: ٤٢.

الفقر وضيقه، والضّرّاء في أبدانهم، يعني: الأمراض؛ من أجل أن يحصل التّضرّع. دعنا نرى ماذا يفعلون؟

﴿فَلَولَآ إِذ جَآءَهُم بَأسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَت قُلُوبُهُم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيۡطَانُ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ﴾[1].

هل حصل التّضرّع؟ لا! لمّا جاءهم البأساء والضّرّاء ﴿قَسَت قُلُوبُهُم﴾ يعني ازداد تعلّقهم بالأسباب -بكلام بسيط- ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيۡطَانُ﴾ أنّ: (هذا بسبب هذا! وهذا بسبب هذا! وأنّ هذا المرض بسبب كذا! وأنّ هذا الّذي حصل عليكم بسبب كذا! وأنّ هذا الجوع بسبب كذا)! حتّى يصل الإنسان أنّه بدلًا من أن تزيده الضّرّاء تضرّعًا إلى الله، صارت الضّرّاء تزيده تمسّكًا بالأسباب!

الآن ﴿وَلَقَد أَرسَلنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبلِكَ فَأَخَذۡنَاهُم بِالبَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾، لماذا؟ ﴿لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعُونَ﴾ يعني: كلّ شيء ينقص عليك لأجل أن يحصل في مقابله التّضرّع. بمعنى: الطّلب، والسّؤال، والانكسار لربّ العالمين.

﴿فَأَخَذۡنَاهُم بِالبَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعُونَ﴾، ما هي النّتيجة؟ النّتيجة واضحة: ﴿فَلَولَآ إِذ جَآءَهُم بَأسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ يعني: لو كانوا فعلوا هذا، لوجدوا الخير ﴿وَلَٰكِن قَسَت قُلُوبُهُم﴾!

﴿قَسَت قُلُوبُهُم﴾ بسبب تعلّقهم بالأسباب! بسبب تعلّقهم بالدّنيا! بعد ذلك سيتبيّن لنا جيّدًا أنّ القضيّة في التّعلّق بالدّنيا!

---

(١) الأنعام: ٤٣.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ هذه زيادة عليهم. ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بمعنى أنّ الشّيطان أكَّد لهم أنّ هذه الأسباب هي سبب ﴿البَأسَآءِ﴾ يعني: الفقر. ﴿وَالضَّرَّآءِ﴾ يعني: المرض. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ﴾ فجروا وراء الأسباب.

كيف عاملهم الله؟ في الآية الّتي بعدها: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ وصلوا الآن لحدّ أنّهم ينسون تمامًا الله! وماذا يَعظُمُ في نفوسهم؟ الأسباب الدّنيويّة، يعني: نسوا كلّ ما ذكرهم به الرّسل. كيف كان الجزاء؟ وإنّ هذا هو الجزاء العجيب: ﴿فَتَحنَا عَلَيهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيءٍ﴾ يعني الآن هم يظنّون أنّها فُرجت! يعني بدل ﴿البَأسَآءِ﴾ جاءتهم الأرزاق! وبدل ﴿الضَّرَّآءِ﴾ جاءتهم صحّة الأبدان! حين جاءتهم ما هو موقفهم؟ جاءتهم، جاءتهم، إلى حدّ أنّهم ﴿فَرِحُواْ﴾! فرحوا بماذا؟ بما آتاهم الله. فلمّا وصلوا وهم متأكّدون أنّهم يملكون ﴿أَخَذْنَاهُم بَغتَةً﴾!

وهذا معناه: أنّ الّذي لا يعرف كيف يقرأ أفعال الله في الإصابة بالسّرّاء والضّرّاء، والإصابة بالنّقص والزّيادة والكمال في الدّنيا؛ يأتيه هذا المرض الّذي هو مرض **الفرح**! ماذا يترتّب على مرض **الفرح**؟ ماذا قالت الآية؟ ﴿فَتَحنَا عَلَيهِم﴾ أوّلًا هم ماذا حصل منهم؟ ﴿نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ يعني حين نتكلّم عن المسلمين؛ يكون بين أيديهم القرآن، ويذكّرهم أنّ البأساء والضّرّاء تأتي من عند الله، وأنّه من المفترض أن يصبروا، ومن المفترض أن يدعوا، ومن المفترض أن يتضرّعوا، فهذا كلّه قد نسوه!

مثلًا: فيما ثبت عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ»[1]، «الْمُسَعِّرُ» الّذي يجعل الأسعار في كلّ شيء، **معنى ذلك**: أنّه حين ينتشر الغلاء، ما الّذي يحلّه؟ الله. نعم، مادام أنّ الله -عزّ وجلّ- هو المسَعّر؛ **تصير النّتيجة**: أنّ انخفاض هذه الأسعار ما يكون إلّا بيد الله. وما ارتفعت الأسعار إلّا بذنب، وستنخفض بتوبة واستغفار.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ وصار التّفكير كلّه في الأسباب المادية، الّتي جعلها الله -عزّ وجلّ- أسبابًا ليبتلي الخلق بها، فالأسباب بنفسها بلاء على النّاس، ولذلك يأتي يوم القيامة فيُنادي ربّ العالمين كما في سورة غافر: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ اليَومَ﴾؟ بعدما كان النّاس يملكون الأسباب ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ اليَومَ﴾؟ ﴿الْمُلْكُ اليَومَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ﴾[2]، لكن ما الّذي غرَّ النّاس في الدّنيا؟ أنّ الأسباب كانت بينهم وبين الله، وكانوا مأمورين أنّهم يأخذون بالأسباب، نحن في الشّريعة مأمورون أن نأخذ بالأسباب؛ لأن الاختبار أن تأخذ السّبب ببدنك وقلبك يبقى معلّقًا بالله.

وإلّا فإنّ الإنسان لو كان رزقه يأتي من السّماء ما كان كفر أحد! لو أنت كان لك باب معيّن ينزل رزقك من السّماء؛ وإنّ هذه الحقيقة! أنّ أرزاق النّاس تنزل من أماكن معيّنة لهم، لكن لو أنت تراها بعيونك، لو كنت أنت ترى هذا الرّزق ينزل من السّماء بأعينك، تُفتح الخزائن -خزائن السماء- وينزل لك الرّزق باسمك، وأنت تراه، هل كنت كفرت بالله؟! أبدًا! ما كان أحد كفر بالله، لكن هنا هو الغيب.

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٢٠٩).

(٢) غافر: ١٦.

ولذلك أهل العلم يقولون: لولا الأسباب ما ارتاب مرتاب. ما كان أحد سيرتاب لكن جاءت الأسباب لأجل أن نُبتلى بذلك.

المهمّ: هم ﴿نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾! نسوه وبقوا متمسّكين بالسّبب الّذي كأنّه مَنَعَهُمْ عن الحقائق!

أيضًا لمّا نسوا هذا، ﴿نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾، جاءهم شيء غرّهم، مباشرةً جاءت الفاء مباشرةً، يعني: هم ﴿نَسُواْ﴾، في المقابل ماذا حصل؟ ﴿فَتَحنَا عَلَيهِم أَبوَابَ كُلِّ شَيءٍ﴾؛ **فإذًا**: هم نسوا، وانفَتَحَت أبواب كلّ شيء، ما هي النّتيجة؟ **النّتيجة**: أنّهم فرحوا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ﴾ الآن نسوا، فُتحت لهم الأبواب، أبواب كلّ شيء، فرحوا! هذا **الفرح** نتيجة طمأنينتهم بالدّنيا. لمّا وصلوا أنّهم يفرحون كان هذا الوقت الّذي ماذا كان فيه؟ ﴿أَخَذْنَاهُم بَغتَةً﴾.

إذًا: أكيد هذا **الفرح** مذموم. ما هو سبب هذا **الفرح**؟ سبب هذا **الفرح** أنّ الله -عزّ وجلّ- أصابهم ﴿بِالبَأسَآءِ﴾ الفقر. ﴿وَالضَّرَّآءِ﴾ في أبدانهم؛ من أجل أن يتضرّعوا. ماذا فعلوا؟ تركوا التّضرّع! وهذه هي المشكلة: تركوا التّضرّع!

أنت الآن كيف ستفسّرين؟ أنّ كلّ نقص في الحياة دافع للتّضرّع. يعني: أوّل فزعة تفزعينها لله تضرّعي إليه.

حين لا يحصل التّضرّع لله ويصير التّمسك بالأسباب تصير النّتيجة أنّهم ينسون ما ذُكّروا به، فهذا أوّل شيء يحصل لهم، وكلّما زادوا تمسّكًا كلّما نسوا أكثر، وكلّما نسو كلّما فتحت عليهم الأبواب، وكلّما زاد فتح الأبواب وصلوا إلى **الفرح**؛ فسبب **الفرح** بالدّنيا الآن:

أنّهم رأوا أنّ الغمّ والهمّ انكشف عنهم من باب الأسباب، من باب الدّنيا وليس من باب التّضرّع.

نحن فقط في هذا اللّقاء سنقول كلّ نص ما الّذي يقوله وبعد ذلك نجمعه ونرتّبه، **المهمّ**: الآن فإنّ **آية الأنعام**، من أهمّ الآيات الّتي تبيّن لنا **الفرح المذموم**.

لو جاءك فرج ونعمة من ربّ العالمين، ألا تفرحي بنعمة الله؟ بلى.

نحن الآن نناقش الحال قبل، وليس بعد. فالأزمة أين؟ قبل؛ أنت تكونين محتاجة، لا تنسي الله، **فهذه هي الأزمة**: حين تكونين محتاجة، لا تنسي الله! لأنّه أصلًا هذا يصير لماذا؟ حاجتك هذه لماذا تصير؟ لأجل أن يحصل التّضرّع.

أنت متى تحزنين على نفسك؟ تحزنين على نفسك حين تأتيك البأساء والضّرّاء وما تتضرّعين! ثمّ إنّه بعد قليل يأتي الفرج، فتغضبين على نفسك! كنتِ تضرّعت وصارت لك، ولكن ما تضرّعت صارت عليك!

التّعليق على دليل موطن سورة التّوبة (٥٠)

دعنا ننتقل الآن إلى النّصّ الّذي بعده، نذهب **للتّوبة** الآن، الآية (٥٠):

﴿إِن تُصِبكَ حَسَنَة تَسُؤهُمۡۖ وَإِن تُصِبكَ مُصِيبَة يَقُولُواْ قَد أَخَذنَآ أَمرَنَا مِن قَبلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُم فَرِحُونَ﴾[1].

(١) التوبة: ٥٠.

أكيد في التّوبة الكلام عن المنافقين. ما هي حالاتهم هؤلاء؟ إذَا أصابت النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- حسنة تسؤهم، **يعني**: أيّ سرور أو غنيمة تسبّب لهم الحزن!

وإذَا أصابت النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مصيبة هو وأصحابه؟ بماذا سيفرحون؟ بأنّ المصيبة نزلت على الرّسول؟! لا، هنا الأمر مختلف، ﴿يَقُولُواْ قَد أَخَذنَآ أَمرَنَا مِن قَبلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُم فَرِحُونَ﴾ كأنّهم يقولون: (نحن أصحاب رأي وتدبير، وأذكياء، وتوقّعنا أنّه سيحصل لكم هكذا، فتركناكم)! هم يعتبرون أنفسهم لمّا نجوا كأنّهم أخذوا الاحتياط، لكن هم يفرحون بالجبن الّذي كان منهم! وخسّة النفس! لأنّه ما يحصل مصاب إلّا على الرّجل الشّجاع، الهُمام، المقدام، هو الّذي يحصل عليه المُصاب؛ فكان هذا حال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولذلك كان في كلام المنافقين: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُم﴾[1]، يعني: (أنّ دينك يغرّك، فتتوكّل على الله)! هكذا يعتقدون! (دينك يغرّك فتصبر)! فالمنافق يرى صبر المؤمن وثقته بالله، ماذا؟ أنّ الدّين غرّه! فإذَا اعتقد هذا أنّ الدّين غرّك، وتأتيك مشكلة من وراء صبرك، من وراء توكّلك على الله -وطبعًا هو اختبار أن تأتيك مشكلة- فماذا يقول لك: (نحن من البداية قلنا لك: إنّ هذا الطّريق نهايته أنّك تخسر، كن واقعيّا! كن واقعيّا! واترك عنك الدّروشة! واترك عنك هذا الكلام)! ويفرح بأنّه ظهر أنّ توكّلك لا نتيجة وراؤه! ويفرح أنّه هو لم يتوكّل مثلًا فنجا! بهذه الطّريقة.

---

(١) الأنفال: ٤٩.

يأتي مثلًا: يدخل في مرابحة ربويّة، بينما أنت معتمدة على أن تسيري في الطّريق المستقيم، وعندك أرض، عندك بيت، تقولين: (لا! أنا والله ما أدخل الرّبا! وهذا بيتي -الحمد الله- موجود وقتما أحتاج أبيعه)، فتنزل أسعار البيوت، وتنزل أسعار الأراضي، فيقول لك: (انظري هذه نتيجتها! لا تريدين الدّخول في الرّبا! ها أنت في النّهاية قد حدث لك كذا! وكذا)! فيفرح بما يحصل للمؤمنين من مصاب! والمصاب أصلًا يحصل للمؤمن ابتلاء؛ والّذي كُتب لك فإنّه مكتوب لك، لا يوجد لقمة مكتوبة في السّماء لك وأحد ينزعها منك، لكن هي الدّنيا كلّها اختبارات!

لكن نحن سيتبيّن لنا بعد ذلك أنّ مشكلتهم في **الفرح** أنّ أهمّ شيء: الدّنيا! فإذَا حصل نقص بسيط فيها، يحصل الحزن لهم! وإذَا حصلت الزّيادة الطّفيفة التّافهة يحصل فرح بها ولو كانت تافهة! **لكن المهمّ**: هم عندهم هذا هو الفوز!

فالمقصد الآن: أنّه إذَا أصابت المؤمنون حسنة؛ من المفترض أنّهم لو كانوا مؤمنين، ويحبّون المؤمنين، كانوا يفرحون. ولذلك من سلامة قلب ابن عباس، أنّه كان يصف نفسه، أنّه إذَا رأى غيمة في السّماء. أو في كلام آخر، أنّه لو سمع عن حاكم عادلٍ في أيٍّ من بقاع المسلمين فرح بها، فرح بهذا الحاكم العادل، لماذا؟ لأنّه هو يهمّه رفعة شأن المسلمين، وليس يفرح فقط لنفسه!

فالمقصد الآن: أنّ هؤلاء إن أصابت المسلمون حسنة يبغضونها، وإن أصابتهم سيّئة يفرحوا أنّهم نجوا من هذه السّيّئة، والسّيّئة ما كانت ستصيب النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- إلّا ابتلاء واختبارًا. فحين يُختبر المؤمنون بأيّ

شيء، وهم ينجون من ذلك، يفرحون بذلك: ﴿يَقُولُواْ قَد أَخَذنَآ أَمرَنَا مِن قَبلُ﴾! (ما تورّطنا مثلما تورّطتم أنتم)!

الأمر واضح تمامًا، **لكن فقط نحن نحتاج أن نفكّر**: أنّ هذا الّذي يقع على المسلمين من أحوال، الله -عزّ وجلّ- يريد منّا أن نقرأ القرآن كما ينبغي، من أجل أن نستطيع تفسير الواقع الّذي نعيشه؛ فإنّ عزل الواقع عن نصوص الكتاب والسّنّة، يجعل كلّ فرد يفسّر الواقع كما يريد! أو يجعلنا أيضًا نفسّره بالباطل، وأحيانًا نصل إلى سوء الظّنّ بربّ العالمين؛ وإنّه ما من أحد وصل إلى سوء الظّنّ بربّ العالمين، إلّا لأنّه يجهل كلام الله! يجهل تفسير الواقع الّذي نعيشه!

التّعليق على دليل موطن سورة التّوبة (٨١)

في **التّوبة**، أيضًا في الآية (٨١)، هناك كلام عن **الفرح**:

﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقعَدِهِم خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوَاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَموَٰلِهِم وَأَنفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي الحَرِّۗ قُل نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّو كَانُواْ يَفقَهُونَ﴾[1].

انظرن لهذا الحال منهم، الّذين **فرحهم** بماذا؟ **فرحهم**: ﴿بِمَقعَدِهِم خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾.

انظري لحالهم هذا، وانظري للآية (٩١)، و (٩٢)، في نفس السّورة: ﴿لَيسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى المَرضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا

(١) التوبة: ٨١.

نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[1].

ما هو الفرق؟ الآن في الآية (٨١)، فرحوا أنّهم تخلّفوا عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأنّهم جلسوا في المدينة. هذه الغزوة المشهورة "غزوة تبوك"، الّتي كانت في الحرّ الشّديد، وكانت من الامتحانات العظيمة.

جاؤوا جماعة ماذا فعلوا من المنافقين؟ تخلّفوا بأعذار متعدّدة. ولمّا وجدوا أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- خرج، وهم لم يخرجوا معه، ماذا وقع في نفوسهم؟ **الفرح**. **الفرح** بماذا؟ بالتّخلّف! فرح بالتّخلّف عن الطّاعة!

في مقابل هذا، في الآية (٩٢)، الكلام عن من؟ عن هؤلاء الّذين نصحوا لله ورسوله، أتوا للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يريدون منه أن يحملهم، يريدون أن يخرجوا مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لكن الدّار بعيدة فلابدّ من دابّة يركبونها، فأتوا للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من أجل أن يحملهم، قال لهم ماذا؟ ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحمِلُكُم عَلَيهِ﴾، ماذا كان موقفهم؟ ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعيُنُهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾.

فتصوّري: الفارق الشّاسع بين مشاعر هؤلاء الّذين فرحوا: (أنّها جاءت من عندكم! أنّ هناك فرصة استفدنا منها وهربنا من التّكليف الشّرعي)! **في مقابل**: أنّ الجماعة الآخرين الّذين هم معذورون عند ربّ العالمين: ﴿أَعيُنُهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾!

---

(١) التوبة: ٩١_٩٢.

وهكذا تفكّرين: ماذا في نفس هذا، وماذا في نفس الآخر؟ كيف يفرح هذا بالتّخلّف عن الشّأن الشّرعي؟! والثّاني يبكي من شأن -أصلًا- هو غير مكلّف به، معذور عند ربّ العالمين؟! وهكذا تتصوّرين كيف أنّ النّاس مختلفون؟ من جهة انشغالهم برضا ربّ العالمين في الدّنيا والآخرة، يعني كأنّ هناك صراع الدّنيا والآخرة في النّفوس، **فالفرح** كأنّه إشارة إلى هذا.

هكذا انتهينا من التّوبة، وتصوّرنا أنّ في التّوبة، الكلام عن المنافقين، وأنّ حالهم: **الفرح المذموم**.

- في الآية (٥٠)، كان **فرحهم المذموم** بماذا؟ بأنّ المُصاب وقع على المسلمين وهم أخذوا احتياطهم. سيكون بماذا أخذوا احتياطهم؟ بتركهم للطّاعات، يعني ما أخذ المنافقون احتياطهم إلّا بتركهم للطّاعات، بعدم دخولهم في الطّاعة!

- وفي الآية (٨١)، الأمر اتّضح أكثر أنّ **فرحهم** بأيّ شيء؟ بكونهم تخلّفوا عن الطّاعات، يكون مثلا: خرج القوم للحجّ؛ وهذا حجّ فريضة. وحصل لهم في الطّريق ما حصل، وحصلت أزمة، أو حصل أيّ شيء، فهو يرى نفسه حينما خرج معهم أنّ الله نجاه! ما يدري كم لهم من الأجور عند ربّ العالمين!

التّعليق على دليل موطن سورة يونس (٥٨)

دعنا نرى **يونس**، الآية (٥٨):

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١].

انظرن: إلى السّياق من أجل أن نعرف هذا من أيّ نوعٍ من **الفرح**؟

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، إشارةً إلى ماذا؟

ما هو السّياق السّابق؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَتكُم مَّوعِظَة مِّن رَّبِّكُم وَشِفَآء لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[٢] الكلام عن القرآن؛ فبهذا ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ وبعد ذلك انظري إلى الشّقّ الثّاني: ﴿هُوَ خَير مِّمَّا يَجمَعُونَ﴾.

ولذلك في رواية، أنّ عمر رضي الله عنه: «لَمَّا قَدِمَ خَرَاجُ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَرَجَ عُمَرُ وَمَوْلًى لَهُ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَعُدُّ الْإِبِلَ، فَإِذَا هِيَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَجَعَلَ عُمَرُ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَجَعَلَ مَوْلَاهُ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا وَاللَّهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ» فقد وجدها أكثر من أن تُعدّ من كثرتها، والخراج طبعًا سيدخل إلى بيت مال المسلمين، وسينتفع به المسلمون. المهمّ: فإنّ العبد من فرحته بالخراج -فهو لن يضع شيئًا في حسابه لكن هو فرح بهذا- فقال: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا وَاللَّهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ» كذبت، هنا بمعنى: أخطأت، «لَيْسَ هُوَ هَذَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يَقُولُ: بِالْهُدَى وَالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، ﴿فَبِذَٰلِكَ

---

(١) يونس: ٥٨.

(٢) يونس: ٥٧.

فَليَفرَحُواْ هُوَ خَير مِّمَّا يَجمَعُونَ﴾، وَهَذَا مِمَّا يَجْمَعُونَ»[1]، يعني: هذه الإبل، وهذه الدّنيا، كلّها ﴿مِّمَّا يَجمَعُونَ﴾.

﴿بفَضلِ اللَّهِ وَبِرَحمَتِهِ﴾: القرآن، هو فضل الله ورحمته؛ أمّا هذا فإنّه ﴿مِّمَّا يَجمَعُونَ﴾ **معنى ذلك**: أنّ هذه الآية جمعت بين أمرين بوضوح:

الأمر الأوّل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾: هو الّذي يستحقّ أن يُفرح به.

الأمر الثّاني: ﴿هُوَ خَير مِّمَّا يَجمَعُونَ﴾: ممّا يجمعون، إشارة إلى ذمّ الّذي يجمعونه!

متى ستفرح بشيء من الدّنيا؟ إذَا كان سيسهّل لك الآخرة؛ إذَا كان لن يسهّل الآخرة فما يستحقّ **الفرح**!

نحن لن ندخل في مناقشات الآن، نحن فقط الآن نريد معرفة: القرآن ماذا قال عن **الفرح**؟ هل رأيتم كم من الآيات والسّور الّتي مرّ فيها الكلام عن **الفرح**؟

إذًا: ستضعن آية يونس، تحت **الفرح المحمود**.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أَيْفَعُ بْنُ عَبْدٍ الْكَلَاعِيُّ ـ (٦٨٦٤).

التّعليق على دليل موطن سورة هود (١٠)

دعنا: نذهب إلى **آية هود**، الآية (١٠):

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[١].

نحن هنا هناك سياق سابق، وهناك سياق لاحق. الكلام عن من؟ عن الإنسان، عن حالة من الحالات الّتي يمرّ بها الإنسان، بل كثير من النّاس يمرّون بهذه الحالة، ممكن أن نقول: إنّه اضطراب نفسي! فهو أكثر الآيات وصفًا للاضطراب النّفسي، لا يوجد اتّزان نفسي.

الآية السّابقة الآن لهذه الآية: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحمَةً ثُمَّ نَزَعنَٰهَا مِنهُ إِنَّهُۥ لَيَئُوسٌ كَفُور﴾[٢].

الأولى أذقناه ماذا؟ ﴿رَحمَةً﴾ نعمة من نِعَمِ الله، وتمتّع بها زمنًا طويلًا، ثمّ نزعناها، ملك الله! ﴿ثُمَّ نَزَعنَٰهَا مِنهُ﴾، مباشرة ماذا يصير؟ ﴿إِنَّهُۥ لَيَئُوسٌ كَفُور﴾. عنده أنّها لن ترجع مرّةً ثانية! ﴿يَئُوسٌ﴾! وأيضًا ﴿كَفُور﴾!

- ﴿يَئُوسٌ﴾: من أنّها سترجع مرّةً ثانية!
- ﴿كَفُور﴾: يكفر نِعَمَ الله الباقية، ويكفر الزّمن الّذي تمتّع فيه بالنّعمة!

---

(١) هود: ١٠.

(٢) هود: ٩.

وانظري: هكذا إلى أشياء بسيطة، لو نفكّر فيها سنتصوّر هذا، هذا مثلًا: عنده خادمة من زمن طويل تخدمه، أو خادمة تخدمك من زمنٍ طويل، وذهبت، انتهى عقدها أو أيّ شيء. ماذا يصير في النّفس؟ الحزن البسيط، هذا طبيعي؛ لأن العشرة لها أثرها، لكن: (لن يأتيني أحسن منها! من أين آتي بأحسن منها؟! من سيأتيني أحسن منها؟!) ويبقون يلطمون على أنّه ليس هناك من هي أحسن منها!

هذا اسمه: يأس من روح الله! فالّذي جاء بهذه يأتي بالّتي أحسن منها! لكن انظري كيف تيأس النّفس؟! من البداية يكون الله هو الّذي أعطاك النّعمة، فما بك تعلّقت بنفس النّعمة؟! وظننت بأنّها لمّا ذهبت لن تأتي من هي أحسن منها! هذا هو الاضطراب النّفسي، إنسان مضطرب، إذَا نُزِع منه أيّ شيء، يبقى في مكانه وكأنّه ليس هناك حلّ! ﴿يَئُوسٌ﴾ يأس من أن يبدله الله خيرًا منها!

وأيضًا ﴿كَفُور﴾، تأتي بعض البلاءات تنزل على النّاس -الله يرزقنا حسن التّصرف مع تدبيره سبحانه وتعالى- فيقول: (لو أخذ ربنا أيّ شيء منّي، لكن ما أخذ هذا)! هذا هو الكفر، ﴿كَفُور﴾! **هنا يُقصد به**: الكفر الأصغر -طبعًا- ليس هناك قدرة على التّوازن، والمشكلة أنّ الإنسان حين يعيش مع أناس غير متوازنين، مضطربين نفسيًّا؛ فإنّها تصيبه العدوى من اضطرابهم النّفسي، أنتِ لو أنّ أحدًا اتّصل بك وهو يبكي، أو أنّ ابنتك اتّصلت بك وهي تبكي من أجل أنّ ابنتها مريضة.

ابنتها مريضة -خيرًا إن شاء الله- المريض ربّنا يهب له الصّحّة؛ وأمّا البكاء والفزع هذا فإنّه كفر بنعمة الله! اصبري! اصبري! إنّ الله مع الصّابرين! ولا تفهمين ماذا تقول! وتشعرين أنّه يحصل أي بلاء في غير هذا الصّغير! وكلّما مرّت عليهم مواقف، وهناك اضطراب نفسي وعدم اتّزان، فيزدادون فزعًا بدلًا من أن يزدادوا هدوء! ويتصوّرون في كلّ موقف وكأنّ الحياة قد انتهت! فكلّ هذا اضطراب.

نحن نريد أن نصل الآن لمسألة **الفرح**. أترين كيف يتصرّفون حين تنزع منهم النّعمة؟ مضطربون! يائسون! كافرون بنعمة الله!

دعنا نرى الشّقّ الثّاني: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾، أوّل شيء يقول ماذا؟ ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ يجعل الفاعل من؟ ﴿السَّيِّئَاتُ﴾ يجعل فاعل فعل الذّهاب ﴿السَّيِّئَاتُ﴾ ليس ربّنا من أذهبها، لا! وإنّما هي مَن ذهبت مِن نفسها! ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ وليس أذهبها الله والحمد الله وربّنا شفانا، وربّنا أعطانا، وربّنا حفظنا.

وحين تذهب عنه السّيّئات، يعني: يُذهبها الله عنه، فينتفخ انتفاخًا ويشعر أنّه ليس هناك مثله! يصير ماذا؟ ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾! وأنت لا تجدين وصفًا للاضطراب النّفسي أكثر من هذا الوصف! فيوم يلقاك وهو يائس من الحياة! ويوم يلقاك وكأنّه طائر يطير في الجوّ من **الفرح** والفخر! فتشعرين بأنّ هذا الاضطراب لا يجعل الإنسان يعيش الحياة كما ينبغي؛ لأنّه هل ستخلو الحياة من ضرّاء تمسّنا؟! أبدًا! وهل تخلو الحياة من عطيّة يعطينا الله إيّاها؟! أبدًا! فأنت طوال الوقت ستكونين بين ضرّاء تمسّك، وبين سرّاء

تأتيك؛ وهل من المعقول أنّك حين تأتيك سرّاء؛ ترين نفسك على النّاس وتنتفخين! وحين تأتيك ضرّاء تصبحين محبطة، ومكتئبة، وتقفلين على نفسك، وتتغطّين تحت فراشك!

وبعد هذا كلّه، متى ستعيش؟! وهذا تمثيل الحقيقة، اليوم أنت حين تقرئين في الطّبّ النّفسي، الكلام عن الاضطراب النّفسي، ستجدين أنّ هذا وصفه، أنّه مرّة على هذا الطّرف، ومرّة على الطّرف الثّاني.

وعمومًا نحن لن نتكلّم عن أنّه هذا باختيار الإنسان أو أنّ هذا مرض! الموضوع طويل وفيه خلاف، لكن نحن نتكلّم الآن عن العلاج؛ العلاج إمّا لاضطراب موجود، أو لاضطراب نخاف منه، أنّه نزداد إيمانًا بالله ورضًا به سبحانه وتعالى، ولا تكون الدّنيا أكبر همّنا.

فإنّ الأمراض ما جاءتنا إلّا لمّا صارت الدّنيا أكبر الهمّ! -حقيقةً- ما جاءت الأمراض إلّا لمّا صارت الدّنيا أكبر الهمّ، وإلّا لو أنّ الدّنيا أخذت حجمها، سيشعر الإنسان أنّ الّذي لم يجده هنا يجده هناك. فمن قال لك إنّ كلّ شيء هنا؟! أصلًا من قال لك إنّ هنا مكان العطاء؟! هنا أنت جالس في قاعة اختبار، ثمّ إنّ العطايا هناك!

آية هود واضحة.

فقط نأخذ **آية الرّعد**؛ لأن **آية الرّعد**، واضحة جدًّا، والمرّة القادمة ستبقى علينا مجموعة من الآيات. **الرّعد** فيها موطنين، سنأخذ موطنًا واحدًا الّتي هي: الآية (٢٦):

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[١].

هذا تقرير لما مضى؛ فالآن الّذي ينظر للحياة، أنّه لابدّ أن تكوني سعيدة دائمًا، يصير غير فاهم للقضيّة! لابدّ أن تعرف أنّ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. بمعنى: يضيّق على من شاء، وهو بمشيئته وحكمته يقسم بين الخلق العطايا، لا الحزن سيأتي بالّذي لم يُكتب لك، ولا **الفرح** سيزيد ما كُتب لك! فالّذي كُتب لك قد كُتب لك!

أصلًا القدر بنفسه هو موطن اختبارك، ابتداء بنسبك، بلونك، بطولك، بعرضك، بما تريدين قوله من هذه التّفاصيل إلى أن يكون رِزْقُك من الأبناء، رِزْقُك من الزّوج، رِزْقُك من البيت، بالتّفاصيل فإنّ هذا مكتوب في القدر؛ حتى أنّ أبن عباس قال: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى وَضْعُكَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ»[٢]؛ لهذه الدّرجة كلّ شيء مكتوب!

في المقابل: ما هو اختباري؟ اختباري ما قام في القلب؛ فالّذي قام في قلبك هو ذاك اختبارك؛ ولذلك حين تقولين: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا»، ماذا يعني «رَضِيتُ

---

(١) الرعد: ٢٦.

(٢) الشّريعة للآجريّ (٤٥٠).

بِاللَّهِ رَبًّا»؟ ثمّ يقول لو قلتها كلّ يوم في أذكار الصّباح والمساء ثلاث مرّات: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ -صلّى الله عليه وسلّم- نَبِيًّا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، ماذا يعني «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا»؟ يعني مدبّرًا، قاسِمًا؛ فالأقدار هذه محبوسة في علم الغيب، كلّ يوم يأتيك منها رزقك، عطيّتك، ورقتك في الاختبار، وأنت تقولين بكلام مُجمل: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا»، فصارت القضيّة على ما قام في القلب، يعني الّذي ستأكلينه، أو تشربينه، أو تلبسينه، أو تعيشينه؛ مكتوب لن يزيد ولن ينقص! لكن ما هي القضيّة؟ ما مدى رضاك عن ربّك! فالّذي سيُكتب لك هو ما تفعلينه تجاه هذه الأقدار، ما تفعلينه في قلبك أوّلًا قبل أيّ شيء؛ ولذلك قال: «حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ» شيء عظيم!

لكن هؤلاء بعدما قال الله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. هم ماذا كان موقفهم؟ ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾! يعني لمّا أخذوا من الدّنيا، ظنّوا أنّ ربّنا راضٍ عنهم، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾! يعني: لا شيء!

نزيد الأمر بيانًا المرّة القادمة.

جزاكنّ الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨٥٧٦).

اللّقاء الثّاني عشر

٢٨ ربيع الأوّل ١٤٤٠

تابع باب الفرح

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن، أهل الاستقامة، الّذين آمنوا واتّقوا فنفعهم إيمانهم، ونفعتهم تقواهم، فاتّقوا كبائر الذّنوب؛ فكفّر عنهم ربّهم صغائرها.

كنّا قد مررنا على مجموعة من الكبائر القلبيّة، كانت أوّل كبيرة ناقشها الشّيخ كبيرة الكِبْر، ولابدّ أن تتصوّري أنّ الكبائر وهي موجودة في **"كتاب الكبائر"** للشّيخ رحمه الله، هناك مصلحة من ترتيبها، فإنّ أوّل ذنب عُصي الله به كان سببه **الكِبْر**، و**العُجْب** يلحق **الكِبْر** في هذه المشاعر، يعني: يشبهه؛ **الكِبْر** يشبه **العُجْب**، و**العُجْب** وليده، إلّا أنّ **الكِبْر** يكون على النّاس، و**العُجْب** يكون حتّى لو كان منفردًا.

أتتنا بعده كبيرة من أخطر الكبائر علينا، وهي: **كبيرة الرّياء والسّمعة**؛ ونحن قد خرجنا من **الرّياء والسّمعة**، تأكّدنا أنّ **الرّياء والسّمعة** سببه الرّئيس: حبّ الدّنيا؛ لأن الإنسان يكون حبّ الدّنيا في قلبه مثل الصّخرة، فيأتي يعمل أعمالًا صالحة، يظنّ أنّ أرض قلبه تربة صالحة، فيزرع فيها

الأعمال الصّالحة، وهو ملتفت بقلبه عن الله، كأنّ هناك صخرة في قلبه، ما تنبت الأعمال الصّالحة ولا تضاعف له الأجور!

هذا حبّ الدّنيا سيأتي **بالرّياء والسّمعة**، ويأتي أيضًا بالكبيرة الّتي بعدها، وهي: **كبيرة الفرح**، وقد بدأنا في نقاشها، و**اتّفقنا**: أنّ هذه الكلمة الّتي هي كلمة **الفرح** قد تكرّرت في كتاب الله:

⇐ مرّة بالذّمّ.

⇐ ومرّة بالمدح.

نراجع سريعًا ونبدأ من حيث انتهينا: أوّل موطن ورد لنا فيه الكلام حول **الفرح** بترتيب المصحف: **آية آل عمران**، وهو وصف للكفّار، والمنافقين. نحن عندنا الكفّار، والمنافقون -الآن بالنّسبة لنا في هذه المناقشة- يعتبرون شيئًا واحدًا.

في الآية (١٢٠)، في **آل عمران**: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1]

الله -عزّ وجلّ- أخبر عن حال هؤلاء، وهو حالهم مع المؤمنين. ما حالهم؟ ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ أنتم ﴿حَسَنَة﴾. ما موقفهم؟ ﴿تَسُؤهُم﴾. وبالعكس؟ ﴿وَإِن تُصِبكُم سَيِّئَة يَفرَحُواْ بِهَا﴾!

(١) آل عمران: ١٢٠.

إذًا: هذا أكيد من **الفرح المذموم**. لماذا من **الفرح المذموم**؟ لأنّ المؤمن حقًّا، لا يمكن أن يفرح بالسّيّئة تقع على إخوانه المؤمنين، أبدًا مهما كان في قلبه؛ فمجرّد **الفرح** بالسّيّئة دليل على النّفاق! حين تقع السّيّئة على إخوانك المسلمين، وتفرحين بها؛ هذا يُعتبر من النّفاق! فهو **فرح** مذموم.

طبعًا في مثل هذا، لابدّ للإنسان أن يراقب قلبه؛ لأن هذا النّوع من **الفرح** ما هو إلّا خاطرة، ومشاعر من الانشراح، والسّعادة وبعد ذلك تنتهي! فيكون الخطر في دخولها وخروجها بدون أن نشعر! **يعني**: **الفرح** ليس معناه -في هذا النّوع- أنّك ستعيشين أيامًا وليالي مبتهجة! لا! ليس شرطًا؛ فمجرد أنّك سمعت عن سيّئة لحقت به وهو مؤمن، فيقع في قلبك أنّه: (يستحقّ، يستحقّ الّذي أتاه! مصيبة نزلت عليه فهو يستحق ذلك)! غالبًا هذا يكون من الحقد!

وما يتوقّع أنّ مؤمنًا تربطك به علاقة الإيمان، تفرح بمصابه، إلّا إذَا كانت الدّنيا عندك أهمّ من الآخرة! لأنّ المؤمنين أذلّة؛ وصف الله -عزّ وجلّ- في **سورة المائدة**، هؤلاء القوم ما حالهم؟ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1] فإذَا ما كانت هذه حال المؤمنين مع بعضهم البعض، معناه: دليل على نقص الإيمان، وأيضًا نخاف إذَا زادت المسألة أن نصل إلى الطّرف الثّاني، وهو: النّفاق! يعني: يبدأ من الإشارة إلى نقص الإيمان، وينتهي بالنّفاق؛ ويكفي في هذا أنّ الّذي يفرح بمصيبة المؤمنين، سيشبه هؤلاء الّذين

(١) المائدة: ٥٤.

وصفوا في **آل عمران**! فقط يكفي أنّ حال هؤلاء المنافقين الكافرين، أنّه إذَا مسّ المؤمنون حسنة تسؤهم، وإن أصابتهم سيّئة فرحوا بها، فالأمر واضح.

إذًا: هذا أكيد أنّه **فرح** مذموم. لماذا مذموم؟ من المؤكّد أنّ **الفرح** بمصاب المؤمنين، دليل على أنّ المؤمنين ليس من لُحمتك، وما يهمّك شأنهم، وهذا إشارة -على أقلّ تقدير- إلى نقص الإيمان، إذَا ما كان إلى أكبر من ذلك الوصول إلى النّفاق!

أمّا إذَا كانت السّيّئة أصابتهم في دينهم، وفرح أحد بها؛ فهذا نفاق خالص! يعني: إذَا أصابت السّيّئة النّاس في دينهم، فمُنعوا عن شيء من دينهم، وهو يفرح بهذا المنع؛ فهذا نفاق خالص! فإنّه منافق نفاقًا خالصًا، منافق نفاقًا أكبرًا! يعني كلّ الآيات الّتي تخبر عن أنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار تنطبق عليه؛ لأنّ هذه من أهمّ العلامات الخطيرة:

⇐ **الفرح** بهزيمة الدّين!

⇐ **الفرح** بعدم ظهور مظاهر الدّين!

فإذَا حصل هذا تكون مصيبة عظيمة!

صار عندي في هذه الآية في **آل عمران** نوعان من **الفرح** في المسلمين، الّذي هو مذموم:

النّوع الأوّل: إذَا كان فرح في المسلمين لمُصاب أصابهم في دنياهم: هذا دليل على ضعف الإيمان؛ لأنّهم من المفترض أن يكونوا جُزءا منك!

النّوع الثّاني: إذَا **فرح** بمصاب أصاب دينهم فهذا نفاق خالص!

الآن أتينا إلى **آل عمران**، الآية (١٧٠): ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)﴾[١].

اتّفقنا أنّ هذا ليس موضوعنا؛ لأنّنا نتكلّم عن **الفرح** الّذي يصير في الدّنيا. لذلك سنترك هذه الآية.

ذهبنا بعد ذلك للآية (١٨٨): ﴿لَا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحمَدُواْ بِمَا لَم يَفعَلُواْ فَلَا تَحسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِۖ وَلَهُم عَذَاب أَلِيم﴾[٢].

لاحظن: ثلاث مرّات أتى الكلام عن **الفرح** في **آل عمران**. الآية (١٨٨)، الكلام عن من هنا؟ أيضًا عن المنافقين، والكافرين، وأهل الكتاب، وكلّ من شابههم؛ ونحن لأنّنا نتكلّم بصورة مجملة، يعني نقرن بين المنافقين وبين الكفّار؛ لأنهم في الحكم النّهائي مثل بعضهم، وإن كان المنافقون في الدّرك الأسفل من النّار، يعني: سيكونون أسوأ حالًا من الكفّار.

الآية (١٨٨)، ماذا كانت دلَالتها؟ هؤلاء ما هي حالتهم؟ يفرحون بماذا هؤلاء؟ يفرحون بتمكّنهم من المعاصي! فهذا أكيد أنّه **فرح مذموم**! أكيد أنّ **الفرح** بالتّمكّن من المعاصي إنّما هو **فرح مذموم**، لكن هذا **الفرح** بالتّمكّن من المعاصي؛ فإنّه حتّى المسلم من الممكن أن يقع فيه، ويدلّ على أنّه ارتكب كبيرة من الكبائر، يعني أنّه يرتكب المعصية الّتي هي من الكبائر نفسها، نسأل

---

(١) آل عمران: ١٧٠.

(٢) آل عمران: ١٨٨.

الله أن يحفظنا ويحفظ الشّباب جميعًا، يحفظهم من كيد الكائدين، ومكر الماكرين، نسأل الله -عزّ وجلّ- ونحن في هذا المجلس، الّذي نرجو أن تكون الملائكة محيطة به، أن يحفظ شبابنا من المخدّرات والمسكرات، وكلّ ما يقترب من فسادهم، أسأل الله -عزّ وجلّ- أن يردّ كيده في نحره...اللّهم آمين.

مثلًا: يُضَيَّق عليهم في مسألة المسكرات والمخدّرات، وبعد ذلك يجد أحدًا يأتي بها إليه، فحين يجد هذا الشخص يفرح! فإنّ هذا **الفرح** كبيرة غير استخدامه المسكرات والمخدّرات:

⇐ فنفس الاستخدام كبيرة!

⇐ و**الفرح** بالتّمكّن منها كبيرة أخرى!

لأنّه كما في **آل عمران**: ﴿لَا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾، من ماذا؟ من المعاصي والإفساد -طبعًا- هنا واضح كيف أنّ هذا مثال المخدّرات وما يتّصل به واضح جدًّا، لكن مثله مثل الأمثلة الّتي فيها مسائل فكريّة، يكون نَشَرَ فكرة معيّنة، أو دافَعَ عن فكرة معيّنة فيها فساد:

مثلًا: أطلق بين النّساء ما يعينهم على عدم طاعة أزواجهم، أو أطلق بين النّساء أفكارًا فيها تمرّد على الدّين، أو تمرّد على أولياء الأمور، أو إلى آخره، وبعد ذلك بدأت تأتي ثمارها! نشر الأفكار وبعد ذلك بدأت تأتي ثمارها فماذا يحصل؟ يفرح!

أو مثلًا: يريد أن ينشر الفلسفة، وكلام الفلاسفة، وأرسطو، وإلى آخره. وقد كان لا يقبل أحد كلامه، وبعد ذلك وصل إلى ما يريد، فماذا يقول لك؟ (أخيرًا وجدت ما أريد)! يفرح بذلك!

⇐ فنفس فعله كبيرة!

⇐ **والفرح** به كبيرة أخرى!

الإشكال: أنّه كيف تفرح بشيء تعلم أنّه يغضب الله؟! فهؤلاء الّذين ذكروا في **آل عمران**، جمعوا بين مشكلتين:

المشكلة الأولى: أنهم يقترفون المعاص!

المشكلة الثّانية: أنهم يفرحون بالمعاصي!

وهذا أبدًا ما يكون من قلب مؤمن؛ فإنّ القلب المؤمن حتّى حين يقترف المعصية، وينسحب، يعني الشّيطان يؤزّه إلى أن يرتكب المعصية، أوّل ما يرتكب المعصية ينسحب عنه الشّيطان، يسقط في الآلام. أليس هذا ما يحصل؟ فإنّ هذه إشارة إيمان؛ لأنّه لن يكون مستمرًّا على فرحه بإتيانه المعصية، على الأقلّ لن يرتكب كبيرة ثانية، وهي:

- **الفرح** بحصوله على المعصية.
- **الفرح** بوصوله إلى المعصية.
- **الفرح** بنتائج المعصية.

فهذا كلّه **فرح** ذُكر في **آل عمران**، وهو من **الفرح المذموم**!

الآن انتهينا من **آل عمران** ننتقل إلى **الأنعام**، الآية (٤٤): ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)﴾[١].

هذه الآية الّتي في **سورة الأنعام**، من أكثر النّصوص في مسألة **الفرح**، تحتاج إلى كثير من التّفكير والتّذكير، هذه الآية سياقها مهمّ جدًّا.

سنأخذ من الآية (٤٢): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

ملخّص الآية (٤٢): أنّ هؤلاء الأقوام أُرسل إليهم رسلًا. هؤلاء الرّسل قاموا بواجبهم من بيان الحقّ. هم ماذا موقفهم من الرّسل كما في الآية؟ كذّبوهم. ثمّ كيف عاملهم الله بعد التّكذيب؟ هنا الأخذ ﴿بِالبَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾ يعني:

١. جاءت الرّسل قامت بوظيفتها.

٢. كذّبوا الرّسل.

٣. أخذهم الله -عزّ وجلّ- ﴿بِالبَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾.

ثمّ ماذا؟! كان متوقّعًا أنّهم إذَا أخذهم ﴿بِالبَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾، أنّهم يتضرّعون، ينكسرون، يتذلّلون لربّ العالمين، يطلبون منه، لكن هم ماذا فعلوا؟! ﴿قَسَت قُلُوبُهُم﴾. لمّا قست، جاءتهم العقوبة لا تخطر على البال!

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) الأنعام: ٤٢-٤٣.

عاقبهم الله بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)﴾ هذه هي الآية التي يوجد فيها الخبر، أنّ الله -عزّ وجلّ- فتح عليهم ﴿أَبْوَابَ﴾؟ ماذا؟﴿كُلِّ شَيءٍ﴾! التّطوّر، الحضارة، الّذي يريدونه من الدّنيا فُتح عليهم! وبعد ذلك؟ ﴿حَتَّىٰ﴾ معناها أنّهم بقوا زمنًا إلى أن تمكّنوا وصار لهم مكانة وأصبحوا فرحين، بماذا؟ بما هم فيه من شأن الدّنيا، وعدم وجود شأن الآخرة، بما هم فيه من شأن الدّنيا، وشأن الآخرة غير موجود! ثمّ لا تنسوا أنّهم قد جاءهم الرّسل، قالوا لهم: (ربّنا سيعاقبكم) ولكنّهم كذّبوا!

جاءهم من الآلام والأحزان من البأساء والضّراء ما جاءهم، ﴿قَسَت قُلُوبُهُم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾! الآن حين تحصل لهم السّرّاء، سيقولون: (أكيد أنّ الرّسل هؤلاء كانوا كاذبين)! هذا الّذي سيتصوّرونه: (أنّ الرّسل كانوا كاذبين! ها نحن في رخاء، وفي أحسن حال، وقد تطوّرنا رغم أنّه ليس هناك دين! وتحسّنت حالتنا رغم أنّنا تخلّينا عمّا أتى به الرّسل)! فيصبحون مطمئنّين إلى أنّ السّير المعوجّ الّذي يسيرونه؛ هو السّير الّذي سيجلب لهم الحضارة! هو السّير الّذي سيجلب مرادهم! ويمشون فيه! ويمشون فيه، وربّنا يفتح لهم! ويمشون فيه، وربّنا يفتح لهم! ويصلون إلى درجة أنّهم يفرحون! فحين يصلون إلى هذا ويصبحون في رأس قمّة هرم **الفرح**، وإحساسهم بالتّمكّن من كلّ شيء، ماذا؟! ﴿أَخَذْنَاهُم بَغتَةً﴾! فمن أجل ذلك **لابدّ أن تفكّري**: الآن مثلًا: الّذين بنوا الأهرام، هؤلاء ماذا كانوا؟ أين وصلوا؟ وصلوا إلى ما وصلوا إليه من أنواع الحضارة! وبعد ذلك؟ ﴿هَل تُحِسُّ مِنهُم مِّن أَحَدٍ أَو تَسمَعُ لَهُم

رِكزًا﴾[1]، هل تسمعين لهم حسًّا؟! لا انتهوا، طواهم العظيم! **فمعنى ذلك**: أنّهم متى وصلوا إلى الحال الّتي يؤخذون فيها؟ لمّا بلغوا الحالة في **الفرح**! **ومعناها**: أنّه سيكون الأوّل، والثّاني، والثّالث، وليس مباشرةً! وإنّما حتّى هذه لابدّ أن يكون هناك وقت طويل! فالّذي لا ينتفع من القرآن، ويتصوّر أنّ كلّ شيء لابدّ أن يراه بعينيه! فهو سيموت، وأهل الباطل باقون بدون دين وفرحون بما عندهم، ومع ذلك متمكّنين من الدّنيا، وما يرى عقاب الله، ما أخذهم!

مثلًا: اليوم هل تسمعن عن الاتّحاد السّوفيتي هذا الاسم؟! الشّباب اليوم ذوي ١٨، و٢٠، و٢٥ سنة. ما هو الاتّحاد السّوفيتي بالنّسبة لهم؟ ولا شيء! لا يعرفونه! لكن النّاس الّذين عاشوا فيما سبق، يعرفون كم كان هذا له منزلة.

لو كلّ واحد يريد أن ينتظر، أن يرى بعينيه أناسًا قد تمكّنوا من الدّنيا، وبعد ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ سيموت النّاس ولازال مثل هؤلاء موجودون! بمعنى: أنّك إذَا كنت تريدين أن تتحقّقي ممّا أخبرك الله به بالشّهادة؛ ما آمنت بالغيب! أنت لابدّ أن تلقي ربّنا وأنت تعرفين أنّ الله -عزّ وجلّ- بهذه الطّريقة يُعامل عباده.

﴿فَلَمَّا﴾ ماذا؟ ﴿نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ ماذا؟ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾! فهذا كلّه لابدّ أن يكون في ذهنك، لكن ليس شرطًا أن تعيشيه! بمعنى: أنّك حين تلقين ربّك تعرفين أنّ هذا **فرح** مذموم! وأنّ الّذين فرحوا بما

---

(١) مريم: ٩٨.

عندهم من الحضارة، مع تخلّيهم عن الدّين، هؤلاء ما هم إلّا في هذه الحالة الّتي وصفها ربّ العالمين، وسيأخذهم بغتة! عشت ورأيتهم حين يأخذهم بغتة، أو متّ قبل أن تري أنّ الله أخذهم بغتة؛ فأنت ستلقين الله وأنت تعتقدين أنّه سيأخذهم بغتة، وتلقين الله بهذا الاعتقاد؛ وحين ترينهم فرحين، أنت المؤمنة ماذا تعتقدين بفرحهم هذا؟ أنّه سيعقبه الأحزان كلّها، والآلام كلّها.

إذًا: هذا كان طريق **الفرح المذموم**، لكن من الضّروري جدًّا في **آية الأنعام**، أن تجعلي السّياق معكِ:

١. الرّسل أخبروهم.

٢. هم ردّوا على الرّسل هذا الرّدّ.

٣. الله -عزّ وجلّ- أخذهم بالبأساء والضّرّاء.

٤. بدلًا من أن يكونوا في حال ذلّ قست قلوبهم.

٥. **النّتيجة**: فتح الله -عزّ وجلّ- عليهم أبواب كلّ شيء.

٦. فرحوا.

٧. أخذهم بغتة.

هذه **آية الأنعام**.

وبعد ذلك ناقشنا **آية التّوبة**، وظهر لنا بوضوح حال المنافقين، أنّهم يفرحون بتخلّفهم عن الطّاعة، مثلًا: ينزل المطر وهم عندهم حلقة قرآن في المدرسة، نزل المطر في الصّباح والدّرس في العصر، لكن من الصّباح وهم

فرحون أنّ اليوم نزل المطر لكيلا يذهبون في العصر درس القرآن! هل تفرحين أنّك لا تذهبين لدرس القرآن؟! هل القرآن هو الخَسْران؟! من الخَسْران؟! الّذي لا يجد مجلسًا يجلس فيه وتجلس معه الملائكة؛ فإنّ هذا هو الخَسْران! أمّا أنّها لا الملائكة، ولا القرآن يخسران!

فكيف تسمحين لنفسك أن تقولي: (هي جاءت من عند ربّنا ونزل المطر ولن نذهب اليوم)!

عل كلّ حال، نحن من البداية مستبعدون الكلام عنّا، **لكن حين نفكّر جيّدًا فإنّنا نرى**: كيف أنّه ممكن -وهذا طبعًا- من الكسل ومن الشّيطان أكيد! أكيد هذا من الكسل والشّيطان! والاستعاذة بالله من الشّيطان الرّجيم تُذهب مثل هذا، لكن كوننا ما نلتفت لمشاعر **الفرح** الّتي تصير عندنا، للتّخلّف عن طاعة، يصير ما فهمنا الآية! الآية تقول إنّ هؤلاء فرحوا لأنّهم تخلّفوا.

ثمّ إنّنا قرأنا آيات بعدها عن المؤمنين، الّذين ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعيُنُهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[1]. هم غير مكلّفين أن ينفقوا مادام أنهم لا يجدون ما ينفقون، لكنّهم يحزنون ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾! **وفي مقابلهم**: يفرحون أنّهم ذهبت عليهم فرص الطّاعة!

المقصد من هذه الأمثلة: فقط هو أن نقرّب قليلًا لأنفسنا، يعني لا يصير الكلام بعيدًا طوال الوقت وكأنّنا نحن ما لنا علاقة! لا! فإنّها تأتي مواقف علينا ومن الممكن أن تكون هذه حالتنا!

---

(١) التوبة: ٩٢.

المهمّ: أنّه حين تأتي مثل هذه الأمور:

- ✓ ندفعها، ونستعيذ بالله من الشّيطان الرّجيم، ومن الكسل.
- ✓ ونذكّر أنفسنا أنّ الدّنيا اختبار، وامتحان.
- ✓ وأنّ الفرص لا تُكرّر، وأنّه اليوم متوفّر، وغدًا يصير غير متوفّر.
- ✓ وأنّ غير المتوفّر غدًا، سبب عدم توفّره أنّه اليوم قد بطر النّاس عليه؛ حين يبطر اليوم على نعمة من جهة الدّين، غدًا لا تتوفّر هذه النّعمة!

فكلّ هذا إنّما هو من الشّيطان، نستعيذ ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يحفظ علينا قلوبنا، ويدفع عنّا شرّ الوسواس، اللّهمّ آمين.

وبعد ذلك ذهبنا إلى **سورة يونس**، وقد تركنا الآية (٢٢)، **وقلنا**: إنّ هذه الآية ليس فيها دلالة لما نريده، يعني إذَا كنّا نريد أن نتصوّر دلالتها سيطول المقام، هي فيها نوع دلالة لكن بالالتزام، سنتركه.

سنأخذ **يونس** الآية (٥٨): ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]، هذا **فرح محمود**. أُمرنا **بالفرح** بالقرآن، والدّين، والإسلام.

بعد ذلك وصلنا إلى **هود**، الآية (١٠)، وتبيّن لنا أنّ هذه حالة الإنسان الكفور: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩)

(١) يونس: ٥٨.

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّيۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[1]، هما آيتان متّصلتان على حالتين له:

الحالة الأولى: أنّه ﴿يَئوسٌ كَفُور﴾، إذَا نُزعت منه رحمة!

الحالة الثّانية: وإذَا أذاقه الله نعماء يصبح ﴿فَرِحٌ فَخُورٌ﴾!

﴿فَرِح﴾ هنا ماذا ستكون؟ **مذموم**.

إلى أن وصلنا إلى **الرّعد** الآية (٢٦)، لكن الظّاهر أنّنا ما أكملناها؛ لأنّ **الرّعد** أهمّ آية في كلّ السّياقات، من جهة كونها تقرّر: ما سبب **الفرح المذموم**.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[2].

الآن الآية تدلّ على أنّهم ﴿فَرِحُواْ﴾ بماذا؟ ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ وهذا أصل الوصف في **الفرح المذموم** أنّ صاحبه يفرح ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ بمعنى: أنّه حين يأتي في شأن من الشّؤون، ويكون بين أمرين:

⇐ بين أن يكسب شيئًا لآخرته، أو أن يفعل فعلًا ينفعه في الآخرة.

⇐ وبين أن يكسب شيئًا في الدّنيا.

---

(١) هود: ٩_١٠.

(٢) الرعد: ٢٦.

فمثلًا: يقوم اللّيل مخلصًا، صادقًا، لا أحد يدري عنه، ولا كلّم أحدًا، وفي النّهار تاجر وربح. **سنبدأ نرى بداية المشاكل الآن**: أنّ فرحه بربح التّجارة يكون أعظم من فرحه بالتّوفيق للطّاعة! وبعد ذلك تكبر المسألة، وتكبر، لدرجة أنّه حتّى لو ما وُفّق في طاعة فإنّه ما يصير هناك اهتمام، ما يصير هناك ألم في القلب حتّى لو فَوَّتَهَا! **في مقابل**: أنّه لو فات عليه شيء من الدّنيا يحصل له الألم العظيم! يتطوّر الأمر، يتطوّر لدرجة ترك الفرائض؛ يترك العصر مثلًا، ينام عنه! وفي الحديث: «مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ، فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»[1]، يعني: كأنّه فقد أهله وماله، «فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ» فقدهم! فهو من وجه يدلّ على أنّها مصيبة عظيمة! فالّذي تمرّ عليه ولا يشعر بأنّ هناك مشكلة، **وفي المقابل**: في ذاك اليوم في نهاره أو في ليله، يكسب شيئًا من الدّنيا ويفرح به! **فنقول**: هذا مؤشّر خطير! ما دُمْتَ تفرح بالدّنيا، ولا تحزن على فوات الدّين! صار مؤشّرًا خطيرًا جدًّا!

في مقابل: أنّ الّذي لابدّ أن يتقرّر عندك: أنّ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. فإنّه ما هو بالزّيادة في رزقك ولا هو بالنّقص إذَا بُسط الرّزق فإنّ الله يبسطه، وإذَا كان مُقدّرًا عليك، يعني: مُضيّقًا عليك فإنّ الله ضيّقه؛ **وهذا هو اختبارك في الدّنيا**: أنّه ما كُتب لك إلّا هذه الأرزاق، فقط هذه الأرزاق، بحبّات الأرزّ الّتي ستأكلينها، بالرّيالات الّتي ستحصلين عليها، بالملبس الّذي ستلبسينه واحدًا، وحدًا!

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٨).

وأنت انظري -مثلًا- تأخذون طعامكم وتذهبون إلى البحر، أو تأخذون طعامكم وتذهبون إلى الطّائف، وبعد ذلك تأكلون الأرزّ، ويبقى شيء متناثر في الأرض، فتأتي نملة وتحمل حبّة الأرزّ هذه، تحملها وتدّخرها! هذا مكتوب عند الله، أنّ هذه الحبّة حبّة الأرزّ الّتي أين زُرعت؟ زُرعت مكان ما زُرعت في الشّرق، فتقوم بالرّحيل وتأتي هنا، وبعد ذلك أنت تطبخينها! ترحل، وتمشي، تمشي، إلى أن تصل إلى بيتك، وبعد ذلك أنت تطبخينها وترحلين بها، وتذهبين بها إلى ذاك الموقع، والنّملة تأخذ رزقها وتمشي! وأنت مثلها بالضّبط، ليس هناك شيء سيمنع رزقك! فلا **الفرح** الزّائد بالرّزق سيزيده، ولا الحزن سيأتي به!

لكن أين دليل رضا ربّ العالمين؟ الآية في مبدأها تقول إنّ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، لكن ليس دليلًا أبدًا على رضاه أو سخطه! وهم في المقابل كلّ تفكيرهم في **الفرح** ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنيَا﴾؛ والله يقول: ﴿وَمَا الْحَيَاةِ الدُّنيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ كأنّك اشتريت شيئًا من السّوق أكلته وشربته وانتهى! هكذا الدّنيا بالنّسبة للآخرة.

فالمقصد الآن: أنّ هذا **الفرح المذموم**، مبدؤه وأساسه أنّ الدّنيا عظيمة في نفس الإنسان؛ إذَا كانت الدّنيا عظيمة في نفسك، ستصير هي سبب دخول الانشراح و**الفرح** إلى قلبك، وسبب دخول الحزن إلى قلبك!

ولذلك حين تري الآن حالة من حالات الاكتئاب، وحالة من حالات الانتحار، غالبًا يكون أحد أهمّ أسبابها حبّ الدّنيا، وهو لا يشعر مهما كان الكلام الّذي يقوله، لكن في النّهاية فإنّ المسألة تدور حول: مكاني في الدّنيا!

فالّذي يقول لك: (أنا مضطهد لا أحد يحترمني)! والّذي يقول لك: (أنا كلّما طرقت بابًا ما فتح)! كلّهم يكلّمونكِ عن الدّنيا! لا زالوا يكلّمونكِ عن الدّنيا!

تأتي الدّنيا بآلام، لا بأس، لكن المؤمن يُعالجها بالصّبر والاحتساب وسؤال الله، وتتحوّل هذه الحاجة إلى طريق انكسار وذلّ لله -عزّ وجلّ- وقد يحصل في النّفس من الضّيق، ويحصل في النّفس من الاكتئاب، لكن لا نرتمي في الأرض وتنتهي حياتنا! أو كذلك تأتينا أفكار شيطانيّة -والعياذ بالله- أنّه ننتهي من حياتنا! لا هذا ما يفعله المؤمن!

أين هي المشكلة الأساسيّة؟ المشكلة الرّئيسيّة حبّ الدّنيا؛ فهذا الإنسان يُفكّر بهذه الطّريقة: الآن هو من في هذه الدّنيا؟! كلّ الحسبة: هو من في هذه الدّنيا؟! **لكن الميزان الصّحيح**: أنّك تفكّرين: (أنا من عند ربّ العالمين؟)، هذا هو الّذي يُشغل المؤمن: (أنا من عند ربّ العالمين؟).

ودليل رضا ربّ العالمين: انشراح الصّدر للطّاعات، وازدياد ذلك؛ هذا دليل رضا ربّ العالمين: أن ينشرح الصّدر للطّاعات ويزداد ذلك، تكونين جاهلة يُعلّمك الله، تكونين كسلانة عن الطّاعات يعينك الله، تكون وساوس الشّيطان مسيطرة عليك يحفظك الله، تكونين لا تقومي اللّيل يُيسّر لك أن تقوميه، تكونين لا تصومين الاثنين والخميس يُيسّر لك أن تصومي؛ فهذا هو الرّضا.

الرّضا هو أن تتيسّر لك من الطّاعات ما يُرضي الله عزّ وجلّ، تُلهمين الاستغفار، تُلهمين الذّكر، تجدين صحبةً صالحة، تتعلّمين علمًا، هذا هو دليل رضا ربّ العالمين، وليس وجود الدّنيا.

فهؤلاء الّذين ﴿فَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ فرحهم سيكون **مذمومًا**، وسيكون **الفرح** ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ سببًا لاكتئابهم وحزنهم؛ لأنّهم لن يحصّلوا أكثر ممّا كتب الله لهم!

وهذا لا علاقة له بالأخذ بالأسباب، مع أنّه ليس موضوعنا الأخذ بالأسباب، لكن هي فقط كلمة واحدة في الأخذ بالأسباب: أخذك بالأسباب لتحصيل أيّ شأن؛ إنّما هو داخل تحت توكّلك على الله، المتوكّل على الله حين يريد تحصيل شأن يعزم عليه، ﴿فَإِذَا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ﴾[1]، شاور واعزم وتوكّل على الله؛ حين تعتمد على الله سيأتيك الله بالأسباب، حين تأخذين بالأسباب خذيها وأنت مطمئنّة أنّ النّتائج من عند ربّ العالمين؛ لأن الله هو الأوّل الّذي يأتي بالأسباب، وهو الآخر الّذي يعطيك نتائج الأسباب، وأنت عليك أن تسعَيْ، جاءك من الدّنيا ما جاء، هذا رزق من الله، نشكر الله؛ وإن ما جاء، لا زلنا نصبر على قدر الله؛ وفي الحالتين **الفرح** ليس بهذا! **الفرح** ليس بهذا! إنّما **الفرح** بما يتيسّر من طاعات، بما يتيسّر من عبادات، بما يتيسّر من انشراح الصّدر لذكر الله وما يلحق ذكر الله.

لو أحد يقول: (أنا تمنّيت أنّ هذا المال يأتيني من أجل أن أتصدّق، من أجل أن أفعل كذا)، **نقول**: نعم، جميل، هذا **الفرح** ليس فرحًا بالدّنيا؛ إنّما هو **فرح** بتيسير أسباب الطّاعة، لكن أهمّ شيء كوني صادقة، هذا أهمّ شيء؛ لأنّك الآن لا تُعاملي النّاس:

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

⇐ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِير﴾[1].

⇐ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِير﴾[2].

كلّ هذه نصوص تقول لك: إنّه لا يوجد مجال أبدًا مع ربّنا لأن تُخادع! إنّما الخداع من صفة المنافقين! فلو فرحت بمال أو بشيء من الدّنيا لتيسيرها لطاعة -الحمد الله- هذا **فرح يُعتبر محمودًا**؛ لأنك ما أردت الدّنيا وإنّما أردت الطّاعة.

سؤال: هل الّذي يفكّر: (هو من عند ربّ العالمين؟) لا تأتيه أيّ حالة من حالات الاكتئاب؟

الأستاذة: نعم، ما يأتيه الاكتئاب. لماذا؟ لأنّ الصّحيح الّذي يفكّر: (من هو عند ربّ العالمين؟)، الصّحيح أنّه يجتهد، ويرجو، ويخاف؛ إذَا كان بين الرّجاء والخوف لا يأتيه اكتئاب، فإذَا غلب جانب الخوف عليه يرجّي نفسه، وإذَا غلب جانب الرّجاء يخوّف نفسه.

سؤال: وإذا كان يتمنّى شيئًا أعلى؟

الأستاذة: يطلب من ربّ العالمين، لا بأس، لا بأس، الله -عزّ وجلّ- شكور، ربّنا شكور، يعطي على العمل القليل الأجر الكثير، فأنت تبقين طامعة في ربّ العالمين.

هذا ليس موضوعنا الآن؛ **نحن موضوعنا أنّه:**

---

(١) البقرة: ٢٧١.

(٢) الحديد: ٤.

✓ لا تفرحي بالدّنيا وانشغلي بشأن الآخرة.

✓ ولن يأتيك اكتئاب إذَا فكّرت بالطّريقة الصّحيحة.

سؤال: هل يعني أنّه هناك خطأ؟

الأستاذة: نعم، هناك خطأ في التّفكير؛ حين تفكّرين في مكانك عند الله، وتنشغلين به؛ لن يأتيك الاكتئاب وإنّما سيأتيك رجاء زائد، وطمع واجتهاد، وخوف من التّقصير، وطوال الوقت تُناجينه: (اقبلني، ارض عنّي، امح عنّي ذنوبي، أنا أستحيي أن ألقاك بما فعلت)، وتبقى المناجاة، وتبقى المناجاة؛ فهذه المناجاة من الممكن أن تحوّل السّيّئات إلى حسنات، فتكونين طوال الوقت طامعة في ربّ العالمين، فرحة بما ينشرح به صدرك، **لكن لا ينبغي أن:** تري نفسك في الّذي فات، فلا تقعي في العُجْب، لا تقعي في الرّياء...إلى آخره.

الآن **آية الرّعد** بيّنت لنا شيئًا مهمًّا، ما هو سبب **الفرح المذموم**؟ حبّ الدّنيا؛ بحيث أنّ الإنسان إذَا حصل على شيء من الدّنيا يقع في قلبه **فرح البطروالأشر!**

هنا نقول: هناك أشياء طبيعيّة في الدّنيا من الطّبيعي أن أفرح بها، مثلًا: زوّجت ابنتي، أو حصلت على بيت واسع؛ هذه أشياء طبيعي أن أفرح بها. نعم، **فالفرح الطّبيعي** هذا ليس فيه كلام أبدًا، **لكن: الفرح الطّبيعي** ما يجعل الإنسان أبدًا ينشغل به ويستغني به!

فالآن هذه هي النّقطة الخطيرة جدًّا: وهي أنّ الإنسان إذَا فرح، **فرح الاستغناء عن الله**، والاكتفاء بهذه النّعمة؛ سيصير **فرحًا مذمومًا** في الدّنيا!

يعني: يبقى يدعو ربّنا، يدعو ربّنا، أنّه يحصل على كذا، فإذَا حصل على كذا اشتغل بهذه العطيّة عن المعطي! لا شكر، لا ذكر، لا صبر حتّى على الفتنة، يُفْتَتن بها، يفرح بها فرحًا يفتنه!

ولذلك تجدِين أنّ المرأة في أوّل حياتها: تتزوّج ويحصل لها افتتان بالزّوج، وتتعلّق به، وتشعر أنّها وجدت كلّ الّذي تريده، وينشغل عقلها وتفكيرها، وتشعر بأنّه طريق ممهّد بالورود، وأنّه لا يوجد مشاكل، وأنّ الّذي بينهما من علاقة لن تفسد! -طبعًا- هي من المفترض أنّها لا تُفاجأ المسكينة فحولها النّاس كلّهم، لكنّها مغمضة عينيها، وتشعر بأنّها: (لا! فهي مختلفة)! فكلّهنّ مِسْكِينَات يشعرن بأنفسهنّ أنّهنّ مختلفات! وبعد ذلك تصطدم بالواقع! والمشاعر العظيمة تصير لا شيء! والّذي كان من الوعود تنقلب! والّذي كذا يحصل له كذا!

فهو على كلّ حال، حين يصل الإنسان إلى **الفرح** الشّديد بالشّيء المتّصل بالدّنيا، إلّا ويتحوّل هذا بنفسه المفروحُ به سببًا للعذاب، سببًا للآلام؛ لابدّ أنّ نفس الشّيء يتحوّل سببًا للآلام! فأنت من البداية أرح نفسك؛ فإنّ **الفرح** الطّبيعي لا أحد يلومك عليه.

مقياس أنّه طبيعي: أنّه ليس هناك استغناء عن الله أبدًا، بل تأتي العطيّة من الدّنيا، تزيدك ذلًا لربّ العالمين، تزيدك طلبًا لربّ العالمين.

دعنا نفترض: أنّ هذه المرأة الّتي ستتزوّج، الزّواج هذا سيسبّب لها:

✓ زيادة سؤال الله البركة.

✓ زيادة سؤال الله التّوفيق.

✓ ما تضع قدمها إلّا وهي تسأل ربّنا أن يُيسّر لها الأمور.

✓ ما تعتمد على نفسها.

✓ ما تعتمد على الحبّ الّتي هي متصوّرة أنّه موجود.

✓ ما تعتمد على كلّ هذه الأمور الّتي بعد ذلك في النّهاية تتحوّل ضدّ الإنسان!

فالآن الفرح المذموم بالدّنيا: **فرح** يجعل الإنسان:

- يستغني عن الله!
- وحين يحصل على مراده، يغفل تمامًا:
  - ⇐ باب شكر الله!
  - ⇐ باب التّوسّل إلى الله بالانتفاع بهذه النّعمة!
  - ⇐ باب سؤال الله البركة!

يفرح فرحًا يوصله إلى الاستغناء عن الله!

فالله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾.

على كلّ حال، يُعذر قليل الخبرة، الصّغير، في بعض **الفرح** الزّائد، **لكن يُنصح، ويُقال له**: (إنّ الحياة ليست بهذه الطّريقة، ما تدوم الأفراح إلّا بدوام

شكر المنعم، بدوام طلب البركة من المنعم)؛ ولذلك ترين النّاس -للأسف!- يأتون في أفراحهم -الّتي من المفترض أنّهم يفرحون بها- ويرتكبون المنكرات! وبعد ذلك يكون اليوم هذا الّذي هو يوم **الفرح**، يوم ثقيل، يوم فيه مشاكل، أو تمتدّ المشاكل حتّى بعد ذلك! السّبب ماذا؟ أنّه لا تفرحي فرحًا تستغني فيه عن الله؛ وإنّما افرحي فرحًا بالدّنيا تكونين فيه معترفةً بنعمة الله.

إذًا معنى ذلك: أنّ **الفرح** الطّبيعي لا يمكن أن يأتي صاحبه فيستغني عن الله، بل الإنسان يكون جائعًا فيفرح باللّقمة. فماذا سيقول حين يفرح بها؟ سيقول: (الحمد الله)، سيذكر الله، سيقول: (بسم الله)، أو أنّه سيأكل بدون ما يفكّر أن يقول بسم الله والحمد الله؟ هناك حالات يصير فيها هكذا ما يفكّر أن يقول لا بسم الله، ولا الحمد الله؛ لأنه الآن يفكّر فقط بالأكل، بدون أن ينسبها لله عزّ وجلّ!

نحن نتكلّم في الأحوال الطّبيعية العاديّة، أنّ **الفرح** إنّما يكون بنعمة الله، الفرح يكون بنعمة الله، شكرًا لله، حمدًا له، وليس استغناء عن الله، يعني حين يهبك الله، فكّري في المعطي قبل أن تفكّري في العطيّة. سألت الله بيتًا واسعًا -مثلًا- ورُزقته، فحين تَصِلِين تقولين: (سبحان الله! كيف يعطيني ما تمنّيته بالضّبط مجاورًا للمسجد! فيه غرفة كذا! فيه كذا!)، فتبقين تُسبّحين ربّك كيف أنّه أعطاك العطيّة؛ فهذا **فرح**، يكون بالدّنيا صحيح لكنّه ما شأنه؟ بنعمة الله، شاكرة لله، غير مستغنية عن الله، معترفة أنّ النّعمة من عند الله، وهكذا.

إذًا: الفرح بالدّنيا **المذموم** يسبّب الاستغناء عن الله! انتهينا الآن من **آية الرّعد** الأولى. سنرجع إلى **آية الرّعد** الثّانية الّتي **هي**: الآية (٣٦):

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[1].

الكلام عن من؟ عن صنف من الّذين أوتوا الكتاب. ما حالتهم؟ ﴿يَفرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيكَ﴾، يعني: بالقرآن؛ أكيد أنّ هذا **فرح محمود**؛ لأنّهم يفرحون بالقرآن. لماذا يفرحون بالقرآن؟ لأنّه أتى مصدّقًا لما معهم؛ وهذا تشعرِين به حين تكونِين في غربة اعتقاد:

مثلًا: مع أخواتك في التّحفيظ، أو مع أخواتك في الدّروس، متّفقون على مُجمل الأفكار، على أهمّيّة التّوحيد، على أن شأن الآخرة أهمّ من شأن الدّنيا، ثمّ تصادفين في المجتمع من يقول لك: (لا! دعنا نعيش! وأنتم هكذا بتفكيركم ما تجعلونا نعيش)! وكلام من هذا! ومجلس طويل عريض كلّهم يقولون لك: (دعنا نعيش)! وأنت وحدك، بعد ذلك أقبلت عليكِ واحدة أنت تعرفين ما هي أفكارها، وتعرفين أنّها مصدّقة لما معك، وتأتي تجلس بجانبك، وتُكلّمِينها؛ إلى أيّ حد تشعرين **بالفرح**؟ جميل، هذا هو **الفرح المحمود**، الّذي هو هنا أنّ أهل الكتاب هؤلاء لمّا أتى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- معه الحقّ، ووافق ما عند النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مع ما عندهم من الحقّ، ماذا حصل لهم؟ فرحوا أنّه أُيِّدَ الحقّ الّذي معهم؛ لأنّهم متأكّدون أنّه الحقّ، لكن بسبب الغربة صار هناك ألم بسبب الغربة! هناك ألم أنّ الجميع لا يُصدّق!

---

(١) الرعد: ٣٦.

الجميع مرتحل في تفكيره إلى جهةً أخرى! فإنّ أيّ أحد تجدينه يوافقك في التّفكير مباشرةً يحصل به **الفرح**.

ولذا فإنّه يحكي أهل الغربة الحقيقيّة: الّذين يكونون خارج البلاد، وبعد ذلك يجدون أحدًا في صفّ المطار، أو أيّ شيء، يعني امرأة محجّبة تجد واحدة محجّبة، فتذهب سريعًا تحتضنها وتُسلّم عليها، لمجرّد شعورها بأنّها فكّت غربتها! يعني فرحًا بها! فرحًا بالحقّ! وإلّا فإنّها ما تدري لا هي من؟ ولا من أيّ جنسية؟ ولا ماذا تتكلّم؟ لكنّه **فرح** بما يُؤيّدك على الحقّ، وهو من أعظم أنواع **الفرح**.

وهذا تجدينه كثيرًا من المفسرين وغيرهم، أو شُرّاح الحديث، تجدين في كلامهم هذا الموضوع، يكون قد فكّر، وفكّر في معنى الآية، وما وجد أحدًا من السّابقين له من أيّد هذا المعنى؛ بعد ذلك يبحث، ويبحث حين يجد أحدًا، فيكتب لك أنّه: (أنا فكّرت كذا، ووجدت أنّ فلانًا قال كذا، والحمد الله!)، يُشعرك أنّه **فرح** أنّه فكّر بطريقة وَوُفِقَ عليها.

وهذا معناه: أنّنا سنعبد الله كثيرًا **بالفرح**، كلّما وجدنا من ينصر الحقّ والسّنّة في أيّ مكان، سيقع في قلوبنا **فرح** به؛ وبذلك:

- ✓ تُكتب لنا أجور **بالفرح** بناصر السّنّة.
- ✓ تُكتب لنا أجور **بالفرح** بمن يُظهر التّوحيد، بمن يُنكر الشّرك.

فمثلًا: أنت تجلسين في بيتك لا تفعلين شيئًا، فتحتِ الإذاعة، فتحتِ التّلفاز، وجدتِ شيخًا من أقاصي الأرض، يتكلّم كلمة عربي وكلمة من لغته، وينصر التّوحيد، ستفرحين به فرحًا عظيمًا، تكتب لك الملائكة حسنات!

فما أعظم هذا الدّين وما أيسره! حبّ المؤمنين، **والفرح** بنصرة الدّين، باب من أبواب الأجور العظيمة، **الفرح المحمود** هذا يُؤجر عليه المؤمنين: وهنا **الفرح**:

- ✓ بموافقة الدّين.
- ✓ بنشر السّنّة.
- ✓ وارتفاع شأنها.
- ✓ بارتفاع شأن القرآن.

هذه **آية الرّعد**.

التّعليق على دليل موطن سورة المؤمنون (٥٣)

نرى بعد ذلك **آية المؤمنون**، الآية (٥٣)، لكن نبدأ من أوّل السّياق. الآية (٥١):

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1].

(١) المؤمنون: ٥١_٥٣.

فإنّ هذه الآيات موضوعها عظيم جدًّا واقعيًّا، لكن سنقول ما تيسّر -وإن شاء الله- المرّة القادمة ما نُراجع ونستفتح بها الكلام.

الآن مجمل الآية **تخبر عن**: أنّنا أُمرنا بالاعتصام بالكتاب والسّنّة؛ وهذا شأن عام لكلّ الرّسل أن يعتصموا بالكتاب الّذي جاءهم. ورثة الكتاب الآن ماذا فعلوا؟ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ يعني: أجزاء، كلّ واحد من المجموعات أخذ معه جزء من الدّين!

معه جزء من الدّين! ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، معنى ذلك: الّذي تسمعينه اليوم من الكلام حول الأحزاب، والّتي يطلقون عليها "أحزاب إسلامية"؛ هذه الأحزاب الإسلاميّة ماذا تفعل؟ تأتي إلى جزء من الدّين وتتبنّاه! فهذه تتبنّى هذا الجزء من الدّين، والثّانية تتبنّى الجزء الثّاني من الدّين، والثّالثة تتبنّى الجزء الثّالث من الدّين! أنا الآن مسلم، وأريد أن أجتمع مع جماعة المسلمين. مَنْ مِنْ بين هؤلاء جماعة المسلمين؟! ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، كلّ واحد يناديك على سوقه، فصار بدلًا من أن الأمر دين واعتصام، وتدخلين هذا المسجد مثلما تدخلين هذا المسجد، لا! وإنّما صار: (لا! هذا مسجدنا! وجماعتنا! وحزبنا)! (وهذا مسجدنا! وجماعتنا! وحزبنا)! وتصيرين لا تعرفي من هي جماعة المسلمين الّذين تعتصمين معهم؟! ويصير كلّ واحد أخذ جزء من الدّين، يفهّمك: (أنّ هذا الجزء الأهمّ من الدّين، وبقيّة الأجزاء غير مهمّة! ونسوا أمر الله -عزّ وجلّ- أن ندخل في السّلم كافّة.

فهذا الّذي يذُوقه العالم الإسلامي اليوم! يذوق الأحزاب الّتي تطحن المجتمعات ويصير كأنّ الحزب هذا دولة داخل دولة، يجذب النّاس له

ويكوّنون قوّة في داخلها، ويصير حزبًا معارضًا، ويصبح النّاس مشتّتين: (من هو وليّ أمرهم؟! هل هو وليّ أمرهم العامّ؟! أم ولّي أمرهم هذا الحزب؟!)! خصوصًا لو تتطوّر المسألة ويقولون لك: (هيّا بايع الحزب)! وهذا الّذي يحصل للشّباب في الخفاء، أنّهم يأخذونهم ويجعلونهم يبايعون فلانًا، ويبايعون علّانًا من الدّاخل!

وهؤلاء يظهرون مظاهر الدّين! فالآن لا تنسي أوّل الكلام: أنّ هؤلاء يأتون إلى الدّين كاملًا وكلّ واحد يأخذ جزء منه، **فمعناه**: أنّه سَيُظهر الدّين. فهم من الدّين أخذوا -وطبعًا- من الأمور الأساسيّة (كالصّلاة، والصّيام)؛ فهذه متّفق عليها، لكنّهم يأخذون أجزاء!

مثلًا: تأتي الخوارج تأخذ مسألة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وتجعلها هي أساس الدّين، وتُقاتل على أساسها، وأيّ مُنكر عندهم يظهر فصاحبه كافر! ثمّ إنّ من يسكت عليه ويرضى به يكون كافرًا مثله! والّذي يُدافع عن قتله يصير كافرًا! وفي النّهاية عند الخوارج المجتمع الإسلامي كلّه كافر! لماذا؟! لأنّهم درجَوا المسألة في المنكر، درجوا المسألة في هذه المسألة! ومن ثمّ يأتون يفجّرون في المسلمين ويتركون الأعداء! بسبب أنّ هذا الحزب اعتمد هذا الفكر، ورأى أنّ الدّين هكذا، وأنّ سكوتنا عن إنكار المنكر يكفّرهم، يكفر النّاس السّاكتين!

ولو جئت وقلت له: (إنّ إنكار المنكر درجات، المنكر بنفسه درجات، يعني المنكر الّذي تقوم به بأن تذهب تفجر عند الحرم المدني! أو الحرم المكّي! أليس هذا منكرًا أكبر من أيّ منكر آخر؟! ألم يخبر الله -عزّ وجلّ- عن اليهود

والنّصارى والمشركين كيف أنّ هؤلاء قوم لا يعمرون مساجد الله! إنّما حالهم أنّهم يخرّبون مساجد الله! **يعني**: هكذا أنت تشبه اليهود والنّصارى والمشركين! ما تشبه أحدًا من المسلمين أبدًا! وأين حرمة دمائهم وأموالهم؟! وأين العلم بأننا حين نكون مسلمين ونكون في جهاد في سبيل الله، وندخل البلاد المُقَاتَلَة -الّتي نحن نريد أن نقاتلها- ونجد أحدًا في صومعته كافرًا، أو مشركًا، أو يهوديًّا، أو نصرانيًّا؛ لا يحقّ لنا أن نقتله؛ يهودي أو نصراني في صومعته لا يحقّ لنا أن نقتله، فنأتي ونقتل المسلمين في الحرم المدني، أو المكّي، أو في أيّ مسجد من مساجد المسلمين؟!).

كلّ هذا آثار التّحزّب. وهي مسألة غاية في العمق؛ لأنّ رأسها أنّهم يفرحون بما أخذوا من جزء من الدّين! هذا هو رأس المسألة! ماذا قالت الآية؟ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، هنا رأس المسألة! هنا هي المشكلة: أنّهم يفرحون بما معهم من الجزء، ويقولون لك: (هذا هو الدّين)!

يصير من المؤكّد أنّه **فرح مذموم**؛ ومن ثمّ الشّباب الّذين يغترّون بمثل هذا، تكون عندهم نشوة هذا **الفرح**، إحساسهم: (أنّهم هم من يعرفون الدّين! أنّه أنت لا تعرفِين! أنّ هذا الّذي يكلّمونكم فيه إنّما هو فقط ليخدّروكم)! ومن هذا الكلام!

لابدّ أن نستفتح اللّقاء القادم في هذا الكلام.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللّقاء الثّالث عشر

٦ ربيع الآخر ١٤٤٠

تابع باب الفرح

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد الله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه، أن ينفعنا بهذه السّاعة، وأن يثقّلها في موازيننا، اللّهمّ آمين.

كنّا قد بدأنا من أوّل هذا الفصل الدّراسي في دراسة هذه الرّسالة، **وهي**: **"كتاب الكبائر"**، وابتدأنا بالكلام حول الكبائر القلبيّة، وصلنا لمناقشة الفرح، وبدأنا من لقاءين سابقين نميّز بين الفرح المذموم، والفرح المسموح، أو المحمود، أو المأمور به أيضًا. لأنّنا سنجد -كما مرّ معنا- في **يونس**، أنّ هناك مواطن نحن أُمرنا فيها بالفرح، **مثلما** قال الله -سبحانه وتعالى- في **سورة يونس**: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]. فأصبحنا مأمورين بالفرح؛ والفرح بالقرآن، وبالدّين، وبالاستقامة، وبشرع الله، هذا فرح محمود عند ربّ العالمين.

---

(١) يونس: ٥٨.

إلى أن وصلنا إلى سورة المؤمنون، وتبيّن لنا في سورة المؤمنون، نوع من أنواع الفرح المذموم، سنبدأ من أوّل السّياق، ونعود إلى مناقشته، فنحن في نهاية الدّرس الماضي تناقشنا فيه إشارةً سريعة -وإن شاء الله- اليوم نزداد بيانًا له.

التّعليق على دليل موطن سورة المؤمنون (٥٣)

نبدأ من الآية (٥١)، في **سورة المؤمنون**:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1].

سياق الآيات بدايته: الخطاب للرّسل. أمرهم الله -عزّ وجلّ- بأيّ شيء؟ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، **إذًا**: الأكل من الطّيّبات، **ويقابل ذلك**: شكر هذه الطّيّبات بعمل الصّالحات. وقُرّر بعد ذلك أنّ هذه الأمّة ما وصفها؟ ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، معناها: أنّ الرّسل يدعون إلى الاعتصام والاجتماع على كتاب الله.

هذه الأمّة ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، **إذًا**: هذا هو المطلوب منكم. إذَا كان الأمر الاجتماع على التّوحيد، والاعتصام بكتاب الله، **سيكون معناه**: أنّ كلّ من دعا إلى الله؛ دعا لجميع الدّين الّذي أتى به الرّسول، وكلّما دعا النّاس إلى جميع الدّين، اجتمع النّاس على جميع الدّين؛ وكلمة (جميع الدّين) كلمة مهمّة جدًّا؛ لأنه سيتبيّن بعد ذلك أنّهم تركوا الدّين كلّه، ﴿فَتَقَطَّعُوا

(١) المؤمنون: ٥١_٥٣.

أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾، بمعنى: أحزابًا، أجزاء. معنى هذا: أنّ الرّسل أُمِرُوا بأيّ شيء؟ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، يعني: أنّه مطّلع -سبحانه وتعالى- على ما يعملون. هذه الأوامر للرّسل، ولكلّ من جاء من بعد الرّسل، أن يشكروا الله لأنّ العبادة كلّها شكر لله عزّ وجلّ؛ ولذلك في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقنَٰكُم وَاشكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾[1]، فأُمر الخلق كما أُمر المرسلون، أنّهم يأكلون من خيرات الله، ويشكرون الله، يعني: العبادة كلّها عبارة عن شكر لنعمة الله. يأتي من وراءهم يسير على سيرهم. على سير من؟ سير الأنبياء، فيأخذ الدّين كلّه ويكون بذلك موحّدًا؛ فالأنبياء تدعو للتّوحيد، وللوازم التّوحيد، والّذي يأتي بعد ذلك يدعو للتّوحيد وللوازم التّوحيد؛ يصير النّاس كلّهم في شرق الأرض وفي غربها مجتمعون على التّوحيد، وعلى ما يتبع التّوحيد.

فإذَا التقوا مثلًا في مكّة في الحجّ؛ لا ترى لهم إله يعظّمونه إلّا إله واحد. فكلّ الخلق في موقف مثل يوم عرفة، المفترض كلّهم يدعون ربّ العالمين. وكلّ الخلق الّذين في المدائن، الّذين في بلدانهم، أيضًا مجتمعون مع هؤلاء على دعوة ربّ العالمين.

حين نأتي إلى الواقع ونرى هؤلاء يدعون من دون الله الحُسين؛ وهؤلاء يدعون من دون الله فاطمة الزّهراء؛ وهؤلاء يدعون من دون الله البدوي؛ وهؤلاء يدعون العَيْدَرُوس؛ وهؤلاء يدعون كذا، وكذا، **يصير معنى ذلك**: هل

---

(١) البقرة: ١٧٢.

أنّهم مجتمعون؟ لا! أبدًا! إنّما هذا معنى أنّه حصل الافتراق. ما سبب الافتراق؟ أكيد أنّه ليس من جهة الرّسل، الرّسل امتثلت الأمر.

الآية تقول لنا ما سبب الافتراق؟ وهنا يظهر لنا الفرح المذموم: ﴿فتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَينَهُم﴾، يعني: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾، الشّريعة الّتي جاءتهم، الدّين الّذي جاءهم؛ كلّ جماعة أخذت قطعة من الدّين، واهتمّت بها، ورفعتها. من هؤلاء الّذين قطّعوا؟ المنسوبون للدّين، يعني: الّذين يكونون ورثة للأنبياء!

في هذا الدّين العظيم، اصطفى الله -عزّ وجلّ- لرسوله من أصحابه الأخيار، فانتقل الدّين من النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- إلى الصحابة الأخيار، فكانوا خير من حمل الدّين، والصّحابة رزقهم الله -عزّ وجلّ- بأتباع كانوا أيضًا من خير من حمل الدّين: «خَيْرُ النّاس قَرْنِي، ثُمَّ الّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الّذينَ يَلُونَهُمْ»[1]، ثمّ أتى بعد ذلك أقوام حصل فيهم ما حصل، كما وصف الله ربّ العالمين. ماذا فعلوا؟ ﴿فتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم﴾، **يعني**: الشّرع، الدّين الّذي ورثوه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ﴿فتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾، **يعني**: قطعةً! قطعة!

واقعيًّا ماذا حصل؟ كلّ جماعة أتت أتقنت شيئًا من الدّين، أو وافق شيئًا من الدّين هواها، أو انتفعت بشيء من الدّين، أخذته وجعلته هو أهمّ شيء في الدّين، واستغنت عن الباقي! وأصبح هذا حزب يهتمّ بكذا! وهذا حزب يهتمّ بكذا! وبقيّة الدّين؟! ما دخلوا في الدّين، في السّلم كافّة! ولم يأخذوا الدّين كاملًا؛ إنّما أتوا إلى أجزاء، أنت ما تستطيع أن تنكرهم تمامًا، ما تستطيع أن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٢٨).

تقول: (هؤلاء ليسوا من أهل الدّين)؛ لأنك أنت تجد عندهم من الدّين جزء قد اهتموا به، ومعاني الدّين العامّة عندهم! (العامّة)، يعني: يشتركون معك في الصّلاة، لكن تجد هؤلاء في مكانهم يفكّرون وينتقون من الدّين شيئًا خاصًّا، ويهتمّون به، ويتركون بقيّة الدّين! وهذا قد مرّ على العالم الإسلامي بأشكال وألوان!

دعنا نتكلّم عن الحقبة الّتي كانت أيّام الملك سعود في بلادنا، وهذه الحقبة كان لازال فيها متوارثًا التّحزب السّابق، حين أضرب المثال ستتصوّرن. الآن الحرم المكّي إلى أيّام الملك سعود، كان هناك أربع جماعات في كلّ صلاة، لمّا كانوا يأتون إلى صلاة الظّهر، كان في هذه الزّاوية يصلّي الحنابلة، وهذه الزّاوية يصلي المالكيّة، وهذه الزّاوية يصلّي الأحناف، وهذه الزّاوية يصلّي الشافعيّة! ويأتون إلى صلاة العصر بهذه الطّريقة! وفي المغرب بهذه الطّريقة! وفي العشاء بهذه الطّريقة! وفي الفجر بهذه الطّريقة! أنت تصوّري كيف كانوا متحزّبين! فهم يصلّون مثل بعض، والفوارق بسيطة، بسيطة جدًّا! إلى درجة أنّ هناك من يجعل جلسة الاستراحة واجب، وهناك من يجعلها غير واجبة سنّة، ومهما كانت هناك فوراق فالفوارق لا يمكن أن تمسّ أصل الصّلاة، لكن هذا هنا عندنا، بينما في البلدان الأخرى إذَا دخل شافعي مسجدًا للحنابلة عن طريق الخطأ، أو دخل مالكي مسجدًا للشّافعيّة؛ ينظر إليهم من بعيد، يميّزهم، يعني هو آتٍ من سفر، ميّزهم بأيّ شيء في ذهنه أو معروف عندهم، يخرج من المسجد ولا يصلّي معهم! أو يتركهم يصلون جماعة وهو يصلّي وحده!

فهذا النّوع من التّحزب كان موجودًا إلى زمن طويل؛ هذا ربّما اختفى -الحمد الله- بأسباب كثيرة شُرِّعَت فزال هذا -الحمد الله- أتت بدلًا عنه أشكال أخرى من التّحزب، يعني التّحزب باقٍ وكلّ مرّة بشكل، والنّعرات الّتي يثيرونها بين المسلمين، هي الّتي تأتي بالأحزاب، بمعنى حين يأتون يقولون لك: (أنت حنبليّة أم شافعيّة أم ماذا؟)! أو اتركي هذه، (أنت وهابيّة! أنت كذا)! هذه النّعرات هي الّتي تصنع الأحزاب، وهذا ليس معناه أنّه ليس هناك أحزاب مصنوعة؛ هناك أحزاب مصنوعة، لكن لأجل أنّهم قد عاشوا طوال عمرهم على الأحزاب، فلا يصدّقونك حين تقولِين لهم: (أنا على سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم)، (لا! لابدّ أن تكوني تابعة لأحد)! وتابعة لأحد، بمعني شيء منظّم، وفكر مستقلّ!

وكلّ جماعة أصبحت منفصلة، أخذت من الدّين ما تريد، واهتمّت بهذا، وتركت متابعة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! -طبعًا- انقسمت الأمّة في الأصل من أوّل التّحزب، ابتدأنا بمشكلة الرّوافض، هذا أوّل أنواع التّحزب الّذي حصل، ثمّ في داخل أهل السّنّة والجماعة حصلت أنواع من التّحزب، أبسطها وأسهلها الآن من أجل أن نستوعبه: الخوارج!

الخوارج هذا نوع حزب، ثمّ إنّهم ليسوا كلّهم متّفقون! هؤلاء اسمهم كذا! وهؤلاء اسمهم كذا! وهؤلاء اسمهم كذا! وكلّ جماعة لها اسم، ولها شريعة، أخذت آية من كتاب الله، أو حديثًا من سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وجعلته شعارها، واستمرّت حوله، وبعد ذلك باقي التّفاصيل كلّها ما هي إلّا من الأهواء! الصّورة العامّة من الدّين، لكن الحشوة الدّاخليّة من الأهواء،

وغالب هؤلاء يكونون جُهّالًا، أو استُعملوا في أجندة خارجيّة، يعني الأعداء استعملوهم في أجندة خارجيّة، مثل البابيّة والبهائيّة.

البابيّة والبهائيّة هذه، الانجليزيّون بعدما انتهوا من احتلال الهند، رموها في أحضان المسلمين، لدرجة أنّ البهائي ابتدأ في ادّعائه من عند أنّه تابع للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من دين النّبيّ، وبعد ذلك انتهى أنّه نبيّ مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! وبعد ذلك وصل في فقدان عقله -وهو أصلًا في التّقارير أنّه رجل معتوه لكن استخدموه- في نهاية الأمر ادّعى الألوهيّة وهو قِبْلَة أهله! الظّاهر أنّه مَزَار أو مكان ما دُفن قِبْلَةُ أهله يصلّون إليه بصلاة تشبه المسلمين لكن قبلتهم إليه!

الشّاهد: كلّ هذا بعيد وقريب، هناك شيء بعيد لا تتصوّرينه، وهناك شيء قريب جدًّا، فحين يأتي النّاس لا يدخلون في السّلم كافّة، يعني جماعة تُظهر الإيمان -فأنتنّ لا تتصوّروا أنّهم لا يُظْهِرون مظاهر الإيمان والإسلام- فالصّلاة مهمّة عندهم، الأركان الخمسة هذه أساسيّة، أنا أتكلّم عن الجماعات والفرق الّتي تظهر في أهل السّنّة؛ تكون المعالم الأساسية واضحة عندهم، لكن أنت اسألي دائمًا عن التّوحيد وأهمّيّته، والأعمال التّابعة للتّوحيد، حتّى جاءتنا جماعة اهتمّت بالتّوحيد، وتركت الأعمال الخارجة عن التّوحيد، تركت ما يعبّر عن التّوحيد، فصاروا يقولون لك: (الإيمان في القلب! وأنا موحدّة ومؤمنة)! والأعمال متروكة عندهم على أنّ الله -عزّ وجلّ- غفور رحيم! وهذه جماعة كبيرة حتّى لو ما عرفت اسمها، لكنّهم تحزّبوا على هذه الفكرة ونصروها!

فالمقصد: أنّ الرّسل لمّا أتت دعت إلى السّلم كافّة، دعت إلى الدّين كافّة، أنت لا تتّبع أحدًا يعطيك جزء من الدّين، ويجعله لك كبيرًا ومهمًّا، ويغطّي بقيّة الأجزاء!

كيف أعرف: أنّني أسير في الطّريق الصّحيح، وأنّني لست في داخل حزب؟ لأنّ هناك أحزاب معلنة، يقولون عن أنفسهم: (نحن حزب كذا، نحن حزب كذا)، وهناك أحزاب غير معلنة!

- الأحزاب المعلنة ماذا تفعل؟ نتكلّم عن تجربتنا في المملكة إلى فترة قريبة، تأتي للشّباب المتديّنين وتأخذهم وتخرج بهم إلى رحلات، وتقول لهم: (هيّا بايعوا الأمير)! هذا الّذي يكون أستاذهم أو شيخهم، يبايعونه، وبعد فترة يصير الولاء له، ويصير هذا يحكمهم أكثر ممّا تحكمهم الشّريعة، أكثر ممّا يحكمهم والديهم، أكثر ممّا تحكمهم الدّولة وقوانينها، إلى أن ينفصلوا، وينفصلوا، وبعد ذلك تأتيك الخوارج، تصير جماعة، وبعد ذلك يقوم بترحيلهم إلى هنا أو هناك، أو يأخذهم حتّى أحيانًا إلى مناطق في داخل المملكة، لكنّها لا يصل إليها أحد، ويعاملهم فيها كأنّها بلده، كأنّها مملكته! كأنّ هؤلاء أعضاء في حكومته الخاصّة، يأخذ بيعة منهم! وهذا طبعًا يخفيه الشّباب عن والديهم غالبًا، ولا يقولون لوالديهم: (إنّنا بايعنا فلانًا)؛ ولا يقول هذا الكلام إلّا أحدًا يكون صغيرًا ولا يفهم، فتخرج من لسانه مثل هذه الكلمات. هذا عن الأحزاب المعلنة، الّذين قد وضعوا لأنفسهم اسمًا، ويعرفون من هم، وقد رتّبوا أوضاعهم!

وهناك جماعات أخرى ليست معلنة؛ إنّما فكرة تكبر، وتكبر، وتصير لها ملامح سواء عند النّساء أو عند الرّجال، وبعد ذلك يجتمعون على هذه الفكرة، ويعتبرونها هي الدّين، ويتركون بقيّة الدّين!

فنحن من أجل أن نميّز: أين نحن في هذه القضيّة كلّها، لابدّ أن نفهم: ما معنى الدّخول في السّلم كافّة؛ لأنّ أحيانًا يكون الإنسان في خطر وهو لا يشعر! ونحن في هذا العصر، عصر النّساء -الحمد الله- في كلّ شيء! حتّى في الأحزاب هو عصر النّساء؛ لأنه صار للنّساء ثقل قويّ، فكذلك وضعوا للنّساء أحزابًا، وصار النّساء هنّ اللاّتي يخرجن بهذه الأحزاب إلى المجتمع وإلى الرّجال!

فلابدّ أن تعرفوا خطر التحزّب؛ لأن التّحزّب يخرّج الإنسان من الدّين وهو معتقد أنّه في داخل الدّين! -طبعًا هذا على خطر عظيم- والخروج من الدّين ليس شرطًا الخروج النّهائي، بمعنى: الكفر، لكنّه يخرج من جماعة المسلمين، ويكون على خطر عظيم، يظنّ نفسه معتصمًا بحبل الله، وهو ليس معتصمًا بحبل الله إنّما معتصم بحبل فلان وعلاّن!

بحيث أنّه في النّهاية إذَا انتمَيتِ للدّين -هذا حصل في بلاد المسلمين حولنا ولابدّ أن نكون حذرين لكيلا يُعاد عندنا- يصير الّذي يستقيم على دين الله، الّذي يصلّي فروضه، الشّاب الّذي يُطلق لحيته، المرأة الّتي تتحجّب؛ مباشرةً يقولون لها: (أنتِ صرت من هذا الحزب)! فصار بدلًا من أن يقولوا: (تديّنت، وصرت على سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم)؛ يصير أيّ مظهر من مظاهر الدّين! معناه دَخَلَت في الحزب!

فيكون في البلد اسم معيّن للمستقيمين، حزب انتشر واشتهر وصار هو يرمز للدّين، فأيّ واحد يستقيم على سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فيقومون هم بوصفه بأنّه دخل في الحزب! معنى ذلك: أنّه في هذا البلد الّذي يقول هذا الكلام، انزاحت سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ووُضع بدلًا عنها الحزب، وصار معنى ذلك: أنّك لا تستطيعين أن تستقيمي في بيتك، ولا تستطيعي أن تتديّني وحدك؛ لا، وإنّما بمجرد أن تتديّني لابدّ أن تنتمي لحزب! والحزب يخرج من كونه ديني إلى أن يصل إلى سياسي! ويتركون الدّين ويذهبون إلى السّياسة بعد ذلك، وهذا عيب أخير! الخروج من الدّين إلى السّياسة هذا عيب أخير؛ فإنّ المشكلة تبدأ من البداية! ليس الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- هو المعظّم أمامنا! بل فلان وعلاّن، وإذَا حكَم فلان وعلاّن في مسألة فقوله هو القول! ولذلك الأحزاب تفصلك عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

فلو فكّرتِ في مسألة الشّافعيّة والحنبليّة والمالكيّة، تجدين أنّ هؤلاء يعظّمون قول هؤلاء القوم، بينما أصلًا بأنفسهم الّذين في جيلهم وما بعد جيلهم ما عظّموهم هذا التّعظيم! فالّذي يكون شافعيّا يعظّم الإمام الشّافعي! المالكي يعظّم الإمام مالك! الحنبلي يعظّم الأمام أحمد! الأحناف يعظّمون أبو حنيفة! تعظيمًا ما أنزل الله به من سلطان! لدرجة أنّك تأتي تقولين لأحدهم: (النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فعل كذا، وهذا حديث صحيح، ودلالته كذا وكذا، والعلماء قالوا كذا وكذا)، تقول: (لا! الشّافعي ما قال! أحمد ما قال)! فيقدّم قول من تحزّب له على قول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! وهذه المسألة أهمّ بكثير من مسألة الواقعيّة الّتي نعيشها، الّتي هي

خروجهم من الدّين ودخولهم في السّياسة، فهذه آخر مشكلة صارت! لكن المشكلة الرّئيسيّة: أن يصير النّاس فرحين -وانظرن هنا هذا الفرح!- بحزبهم أكثر من فرحهم بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! وقبولهم للحزب يكون عندهم أهمّ من قبولهم لكلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! وهذا معناه: أنهم صاروا أصحاب دين جديد، ومن ثمّ أكيد أنّهم -لو أنا أتكلّم عن الشّافعيّة الآن، عن المالكيّة، عن الأحناف، عن الحنابلة- لن يتّصلوا بالإمام أحمد مباشرةً، لكنّهم يتّصلون بمن ينوب عنه. من ينوب عنه؟ العالم الجديد الموجود والمعاصر لهم، فيصير العالم الجديد الموجود والمعاصر لهم والّذي يقود حزبهم، يصبح بالنّسبة لهم في مكانة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وقوله هو القول! وهكذا نكون خرجنا من الاستسلام لله ومتابعة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، للاستسلام والمتابعة لهذا الحزب! وهنا أين يكمن الخطر؟

دعونا نكمل الآيات من أجل أن تتصوّرا: إلى أي خطر يوصل التّحزب!

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1].

هذا الخطر العظيم إذَا وصل الأمر -الموجود في الآيات- حدّه، ووصل أنّ هذا المتبوع اسْتُبْدِلَ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وصار هو الّذي يسيرون حوله؛ فالله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني أصبحوا في غمرة، بمعنى: أنّ عقلهم زال عنهم وأصبحوا لا يميّزون الأمور، ويقدّمون

(١) المؤمنون: ٥٤_٥٦.

قول غير النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- على قول النّبيّ! ثمّ سيتطوّر الأمر وسيُقدّمون قول هذا حتّى على قول الله عزّ وجلّ!

هناك خمسة أمور إذَا فهمتها، أو إذا تمسّكت بها، تَصِلِينَ إلى البعد عن التّحزب وهو من أخطر الأمور؛ ستكون هذه الخمسة موجودة في الآيات أمامنا، سنبدأ من الآية (٥٧)، إلى الآية (٦١)، ونرى هذه الأمور الخمسة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[1].

الأمر الأوّل: أنّ الخشية كلّها لله. يعني أنت من أجل أن تدخلي في السّلم كافّة فإنّ أوّل شرط هو:

- ✓ الخشية.
- ✓ والخوف.
- ✓ والإشفاق.
- ✓ والّذي يهمّك أن ترضيه.
- ✓ والّذي يشغلك مكانك عنده هو الله.

فصار هذا الأمر الأوّل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾، فيصير الّذي يلزمك ويشغلك وتفكّرين فيه هو: رضا الله عنك؛ فالخشية كلّها لله.

---

(١) المؤمنون: ٥٧_٦١.

طبعًا نحن هنا لا نتكلّم عن الخوف وتفاصيله، والخوف الطّبيعي والغير الطّبيعي -هذا ليس موضوعنا- لكن نحن موضوعنا الأساس: أنّ الإنسان مشغول في تفكيره بخشية الله. وسنقول الثّانية، والثّالثة، وبعد ذلك نفصّل الثّلاثة مع بعض:

يأتينا الأمر الثّاني: وهو أنّ هؤلاء يؤمنون بآيات الله، والإيمان يُلزمهم بالاتّباع. يؤمنون بآيات الله: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ الإيمان ماذا يفعل لهم إذَا كانوا مؤمنين ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾؟ مُسَلّمين لها؟ آمن، يعني ماذا سيفعل؟ صدّق، تيقّن، لابدّ أن يستسلم. يؤمنون بآيات الله، ماذا يُتصوّر من الّذي يؤمن بآيات الله؟ أنّه يُسلّم وينقاد، هذا الّذي يُتوقّع منه، أنّه يُسلّم وينقاد.

إذًا: هذه النّقطة الثّانية، لكي تكوني دخلت في السّلم كافّة، لابدّ أن تكوني مؤمنة، مُسَلِّمَةً، مُنقادة لله -عزّ وجلّ- وليس لغيره. **إذًا:** هذه النّقطة الثّانية الّتي بها يدخل الإنسان في السّلم كافّة؛ تدخلين في السّلم كافّة حين لا يشغلك إلّا رضا ربّ العالمين.

وإذَا ما كان يشغلك إلّا رضا ربّ العالمين؛ فإنّ هناك طريق، ربّنا أنزل آيات شرعيّة (القرآن والسّنّة)، وحولك آيات كونيّة، أنت ماذا تفعلين؟ تؤمنين بهذه الآيات الكونيّة، والشّرعيّة، ويلزم من ذلك أنّك:

- ✓ ستستسلمين.
- ✓ ستنقادين.

✓ تُتابعين كلام الله وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وليس كلام النّاس؛ إنّما كلام الله وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

يأتينا الأمر الثّالث: الّذي يدلّ على أنّك لا زلت في السّلم كافّة، وهو من أهمّ الأمور الّتي تميّز النّاس: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، يعني: غاية عناية العبد تكون بالتّوحيد.

التّوحيد يدخل في الإيمان، لكنّه ينفرد عنه بكون توحيد الإنسان شديد التّأثّر، يعني: أنت تنقادين، تُسلّمين في الأعمال بيسر وسهولة مادام أنّك مؤمنة، لكن التّوحيد هذا سريع الخدش! بسرعة يتأثّر! فلأجل أن تدخلي في السّلم كافّة، لابدّ أن تكوني مراعيَةً دائمًا توحيدك، تخافين على هذا التّوحيد أن تشركي!

فلذلك وصف الله -عزّ وجلّ- هؤلاء: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، لا شرك أكبر، ولا شرك أصغر؛ ولا تتصوّروا كم لهذه المسألة أثر في التّحزب! يعني: إذَا وُجِدَتْ قَطَعَت التّحزّب، لماذا؟ دعنا نُرتّب الثّلاثة مع بعض يكون هذا ليس همّه إلّا رضا ربّ العالمين، والآيات البيّنات تقوده إلى رضا الله، من كلام الله عزّ وجلّ، ومن كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ إنّه لا يُجامل أحدًا، بمعنى: أنّه إذَا جاء أحد خالف ما كان عليه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أو ما أمر به الله؛ فإنّه لا يُشرك بربّه أحدًا، فتجدين هذا الأحد يقوده بدلًا من أن يُتابع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! لا تجده تحت هؤلاء المتحزّبين خائفًا على رضاهم، لا يُشرك بربّه، لا يشغله إلّا توحيده، واستقامته على دين الله.

نحن -الحمد الله- لأنّنا بعيدون عن الأجواء -أجواء التّحزّب- لن تشعروا كثيرًا بالكلام، وأيّ كلام أكثر من هذا صعب؛ لأننا لابدّ أن نأتي بأسماء وأوضاع -وهذا ما يليق بالمجلس- لكن أنتنّ افهمن المسألة على وجه العموم.

التّحزب يجعل الإنسان عينه معلّقة بهذا الحزب، وبرضا أهله، ويخاف أن يتصّرف تصرّفًا فيطردوه من الحزب! يخاف أن يتصرّف تصرّفًا، هؤلاء أسياده لا يقبلون به! بهذه الطّريقة! فيصير كأنّ قلبه بدلًا من أن يكون معلّقًا بالله، يكون معلقًا بالحزب. فهو ابتدأ بدخول الحزب يعتقد أنّه سيصبح متديّنًا بذلك، وما له نيّة إلّا هذا؛ وهذا في الظّاهر هو الحقّ الّذي يظهر للنّاس، لكن بعد ذلك تتحوّل المسألة من دين إلى أهواء!

مع اختلافها طبعًا في كلّ بلاد؛ فنسبة الأهواء تختلف في كلّ بلد، أحيانًا أهوائهم -أصلاً- طيّبة، قريبة من التّوحيد، وقريبة من الحقّ، فتكون ليست ظاهرة جدًّا المخالفة، لكن لو جاء أمر يُخالف هواهم؛ فإنّهم يحملون أتباعهم على الأمر الّذي يوافق هواهم، ويتركون أمر الله، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم!

وهذا ليس افتراء عليهم -اتركي عنك الواقع- فهذا في التّاريخ الإسلامي، وفي التّاريخ الّذي قبل الإسلامي واضح، أنّ التّحزب يجعل النّاس يصبحون بمثابة الأدوات على رقعة شطرنج، يحّركونهم كما يريدون!

وأنت فكّري: الآن النّصرانيّة كيف صارت؟! اليهوديّة كيف صارت؟! مجموعة أحزاب يقاتلون وراء هذا، عُمْي، صُمّ، لا يدرون أين الحقّ وأين الباطل!

وفي الواقع الآن لو أخذنا الخوارج نموذجًا، تكون هذه المجموعة، هذه الفصيلة مع بعضها خرجت عن بلادها وأصبحوا مجموعة خوارج، ثمّ هذا الفصيل نفسه يحصل بينهم اختلاف، فيقوموا بالانقسام إلى قسمين. حين ينقسمون إلى قسمين؛ كلّ طرف منهم يكفّر الثاني، فبعدما كانوا صفًّا واحدًا يقاتلون العدوّ -وهذا واقع- يصير يستدير على الطّرف الثّاني الّذي كان أمس صاحبه ويقتله! على أساس أنّه أصبح كافرًا! فتصير المسألة أنّ هؤلاء الأعضاء الّذين داخل الحزب؛ إنّما هم منفذون لهوى سيّدهم الرّئيس!

ليس من الضروري أن يتبيّن لكنّ، فالمسألة بعيدة عنّا، لكنّها موجودة، والّتي بينكنّ لها خبرة، ستفهم تمامًا الكلام الّذي أقوله.

المهمّ فقط أنّه لابدّ أن تعرفوا: أنّ التحزّب خطر عظيم! وإنّه ما انجرّ فيه إلّا الشّباب الصّغار! والصّغار حين يكلّمون الكبار، ويكون الكبار ليسوا فاهمين، فيقولون لهم: (جماعة المسجد، أو جماعة الأصحاب الطّيّبين، أو نحن نخرج نتسامر، ونحفظ قرآن)! فيصدّق أنّ هذا طيّب!

ونحن لا ننكر بأنّ هناك خير، لكن أوّل ما يصير هذا جندي، بمثابة الأداة تحت الرّأس، يصير هناك الخطر! والّذي يدلّ على ذلك أنّه كيف يمكن أن يملؤوا عقولهم فيأتي الشّابّ منهم يقتل أمه وأباه؟! نعم، هذا الّذي لابدّ أن تفكّروا فيه: كيف يأتي الشّابّ يقتل أمّه وأباه؟! كيف والدّين ينهى عن الخيانة يأخذ الاثنان ابن عمّهم، ويخرجون به إلى البرّ وهو يستأمنهم ويقتلونه؟! كيف؟! كيف يصير مثل هذا؟! إلّا أنّ عقله كأنّه تمّ غسله! وصار هذا يتحكّم فيه، على أنّه هذا الّذي يرضي الله ويرضي رسوله! فإنّ الشّباب

يذهبون على أساس أنّ هذا الّذي يرضي الله ويرضي رسوله، وليس على أساس أنّهم مستسلمون! لا! لكن حين تنكشف لهم المسألة، ماذا يحدث؟ لا يستطيع الرّجوع إلى الوراء! فيمشي مع الأهواء علّه يصل إلى ما يريد! علّه هو كذلك في يوم من الأيّام يصبح رئيسًا ويكون كذا!

فلأجل ذلك لابدّ أن تعرفوا هذه الثلاثة:

١. ﴿الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

٢. ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ينقادون لها ويسلّمون.

٣. ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، ما عندهم أحد يشركونه مع الله، يصير قوله مقدّمًا على قول الله، أو على قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

نحن سنتّفق على هذه الثّلاثة وبعد ذلك سنكمل الباقي، فحين ندخل في الدّين كافّة، **معناه**: أنّه سيكون تعليمنا بالطّريقة التّالية:

الطّريقة الأولى: **وهي**: تعلّم أسماء الله وصفاته المورثة لمحبّة الله والخوف منه. أوّل شيء لأجل أن تدخلي في الدّين كافّة، لابدّ أن تكون الجهة الّتي أنت متّجهة لها ربّ العالمين، يكون عندك علم عنه (أسماؤه، وصفاته، وأفعاله)، يعني ربّنا من الفاتحة، حتّى النّاس، وهو يعلّمنا عن نفسه سبحانه وتعالى؛ ومن المفترض أنّنا ما نلقاه ونحن جاهلون به!

النّاس لا يستطيعون أن يتحكّموا فيك، ولا أن يصلوا بالدّين أن يكون أحزابًا، إلّا حين تكونين جاهلة بربّ العالمين. يعني كيف يمكن أن تتصوّري،

والله وصفه أنّه رحمن رحيم، أنّه يشَرّع على الخلق ما يجعلهم يقتلون أنفسهم أو يقتلون غيرهم دون أن يكون هناك الشّرع القويم الواضح؟! دون أن يُنذروا؟! دون أن يُحذروا؟! **يعني**: الجهاد في الإسلام مبناه الجهاد بالعلم، ثمّ الجهاد بالسّيف؛ لا تدخل على النّاس تقاتلهم هكذا! فأول شيء تعلّمهم، فإن أبوا، قيل لهم: (هاتوا الجزية) فإن أبوا قُوتل من يمنع النّاس عن الإيمان، فلو وجدنا واحدًا في كنيسته أو في صومعته لا ندخل نقتله، لو وجدنا أطفالًا لا نقتلهم، لو لقينا نساء لا نقتلهنّ، لكن أن يقتلوا أيّ أحد بدون تفكير! هذا أكيد ليس دين الله! فلو عرفت الله عرفت أنّه لا يمكن أن يكون هذا من شرع الله! لكن المشكلة: أنّ النّاس لا يعرفون ربّنا، فإذَا ما قالوا لهم أيّ كلام فإنّهم يصدّقونه!

فأوّل أمر علينا: مسؤوليّة: من أجل أن ندخل في الدّين كافّة، لابدّ أن نعرف: ربّ العالمين؛ ولذلك لن يأتي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّن خَشيَةِ رَبِّهِم مُّشفِقُونَ﴾، إلّا حين نتعلّم أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، كما أخبر الله عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

يتبع ذلك أنّه ماذا تتعلّمين؟ ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤمِنُونَ﴾ ونحن اتّفقنا: أنّ هنا ﴿يُؤمِنُونَ﴾، يعني: يُسلّم وينقاد، معناه: سأتعلّم كلّ المطلوب منّي، أو بين قوسين: (أتعلّم الوظائف الحياتيّة العمريّة أو اليوميّة)، يعني: من آيات الله، ما هي وظيفتك؟ مثلًا:

⇐ من وظائفنا في هذه اللّيلة وفي كلّ ليلة: أن نذكر الله، ونصلّي على رسوله صلّى الله عليه وسلّم؛ فأنت تعرفين هذه الوظيفة، ما هو دليلك؟ دليلنا كذا، وكذا.

⇐ من الوظائف الّتي من الممكن أن تقومي بها: أن تقومي اللّيل، لماذا؟ لأنّ الله -عزّ وجلّ- ينزل في الثّلث الأخير من اللّيل. هل عندك دليل على هذه الوظيفة؟ كذا، وكذا من السّنّة، كذا من كتاب الله.

يعني: اليوم واللّيلة، الوظائف الموجودة فيها، لابدّ أن تعرفيها، لابدّ أن تعرفي الوظائف البدنيّة، والقلبيّة لأجل أن تتبعيها، يعني: هل أنت موجودة لوظيفة ولا تعرفين تفاصيلها؟! لابدّ أن تعرفي تفاصيلها؛ وكلّما ازددتِ علمًا فإنّه من المفترض أن تسيري في هذا الطّريق، لأجل أن تدخلي في الدّين كافّة، فلو أنت صاحبة مال مثلًا من جهة التّجارة لابدّ أن تعرفي الزّكاة، ولو أنت صاحبة مال من جهة الإبل تعرفين زكاتها كيف تكون. ستذهبين للحجّ لابدّ أن تتعلّمي كيف تحجّين.

هناك وظائف يوميّة، شهريّة، عمريّة، مطلوب منك أن تتعلّميها قبل أن تدخلي فيها، لكن هذا الّذي تقضين حياتك فيه، لأجل أن تدخلي في الدّين كافّة. لا أن يأتي أحد يُعظّم لك مسألة معيّنة، يقول لك: (نحن وظيفتنا في الحياة تبليغ الدّين)! فيأتون يقولون: (تبليغ الدّين!) هل أنت عندك علم من أجل أن تبلّغ الدّين؟! ما عندك علم. أنت تعلّم أوّل الأمر قبل أن تتكلّم عن تبليغ الدّين! وكيف تجعل وظيفتك تبليغ الدّين وتنسى كلّ الوظائف الأخرى؟!

هذا هو معقد الإشكال في الأحزاب، أنّهم يأخذون الّذين لا يعرفون ما هي وظائفهم كاملة، فيأتون ويجعلون وظيفة واحدة هي كلّ الحياة! كلّ الحياة هذه الوظيفة! ما عندك وظيفة إلّا أن تبلّغي! تبلّغين وأنت ما عندك علم؟! تبلّغين وتقطعين في صلاتك؟! أو تقطعين في قيامك اللّيل؟! أو تقطعين أعمالك الّتي تخصّك؟! البلاغ له شروطه، وليس كلّ النّاس يبلّغون، ولابدّ أن تكون لهم شروط، لكن هذه ليست وظيفة كلّ النّاس -أصلًا- وإنّما وظيفة كلّ النّاس كذا، وكذا، وكذا.

بالإجمال هكذا تصوّروا المسألة: أنت مؤمنة، لابدّ أن تدخلي في السّلم كافّة، لابدّ أن تتعلّمي ماذا؟

الأولى: ستتعلّمين عن الله. **والثّانية**: أن تعرفي كلّ الوظائف المطلوبة منك في يومك وليلتك، إذَا كانت اليوميّة، أو العمريّة عمومًا.

وبعد ذلك تعرفين كلّ وظيفة ما شروطها؟ هل أنت تناسبينها أو لا تناسبينها؟ لو كانت هذه الوظيفة من باب فرض الكفاية لأنّه هناك فرض كفاية، وهناك فرض عين.

كلّنا -الحمد الله- نعرف ما هو فرض الكفاية؟ الّذي إذَا قام به البعض سقط عن الآخرين.

فكيف يأتي الحزب يقول لك: (إنّ هذا فرض كفاية)؟! يجعل فرض الكفاية مثلًا فرض عين عليك! بمعنى: أنّ تعلّمك الوظائف يمنعك من أن

يجعل النّاس هم من يزنون لك ما هو الأهمّ وما هو المهمّ؛ تعرفين أنّ كلّ هذه وظائف، وهذه فرض عين، وهذه فرض كفاية.

أنا أسألكنّ الآن: حين يأتي للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الرّجل، ويطلب من النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أن يكون مجاهدًا مع المجاهدين، فيسأله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عن والديه، ويتبيّن أنّ له والدًا ووالدة، فيأمره أن يرجع إليهما، تصوّري: هذا النّصّ الّذي هو يتكلّم عن فرض العين، وتصوّري: كيف أقنعوهم أن يذهبوا لقتل والديهم؟!

تصوّري: الفارق الشّاسع بين الحالتين؛ لأجل أن تعرفِي: أنّ المسألة مبنيّة على الأهواء؛ أوّل شيء يسلبون عقولهم، ويجعلونهم يستسلمون لهم، يسلبون عقولهم ليس بأدوية ولا بغيرها؛ وإنّما بالأفكار، والكلام! فراغ، لا يعرف الحقّ، جاء هذا كلّمه، تكلّم وتكلّم حين سلب عقله وجعله بأنّه سيتقرّب إلى الله بقتلهم!

وطبعًا لا تستبعدي أنّهم- وهذا ممّا سمعت والله أعلم بالحقّ- أنّهم يأتونهم بمثال لعبد الله ابن المنافق لمّا خرج وطلب من النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أن يقتل أباه؛ فقط يأتونهم بهذا الجزء، أنّه أراد أن يقتل أباه، وما يأتونهم بجزء أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- منعه من ذلك أصلًا!

فالمقصد: أنّ دخولنا في السّلم كافّة يستوجب علينا أن لا نكون جُهّالًا، لابدّ أن نعرف وظائفنا؛ ولا تعتمدِي على الذّاكرة في الوظيفة! لا تعتمدِي على ذاكرتك! لابدّ أن نجدّد هذه المسألة، لابدّ أن نجدّد معرفتنا بوظائفنا، كلّ مرّة لابدّ أن نعرف أنّ يومنا وليلتنا إنّما هي ركب نرتحل به لربّ العالمين، فهذه

السّاعة فيها وظيفة، وهذه السّاعة فيها وظيفة، وظيفة مع ربّ العالمين، وإن قطعت من هذا وظيفة للدّنيا، فلابدّ أن تعرفي: أنّ الباقي كلّه حقّ لربّ العالمين.

فالنّهاية من هذا كلّما زادت فرصة التعلّم كلّما زادت المسؤوليّة. ونحن اليوم ما ننكر كثرة الفتن حولنا، لكنّنا نرى أنّه أمام كثرة الفتن، الفرص أكبر بكثير للتعلّم، فكأنّ المسألة متوازنة:

- فتن كثير.
- وفرص واسعة للتعلّم، ما كانت موجودة فيما سبق.

أنت في بيتك وتستطيعِين أن تسمعِي علماء الدّنيا كلّهم، بل تسمعين الأموات منهم، أليس كذلك؟ ما عندنا عذر مع ربّ العالمين أن لا نعرف ما هو ديننا؟!

إذًا: هاتان المسألتان اللّتان سنتعلّمهما:

الأولى: سنتعلّم عن الله (أسماؤه وصفاته وأفعاله).

الثّانية: سنتعلّم عن الوظائف الّتي يجب أن نقوم بها.

الثّالثة: تأتي الثّالثة وهي من أهمّ ما نتعلّم، **وهو**: التّوحيد، ومظاهر الشّرك.

وهذا شيء يتجدّد دائمًا، واجب علينا أن نعيد ونزيد لأنّه كلّ يوم يظهر لك الشّرك بطريقة! -وقد مرّ معنا سابقًا- أنّ الكهنة والسّحرة وما يتّصل بهم،

كانوا في الزّمن الماضي تجدهم مختبئين هنا وهناك، ولا أحد يقدر أن يصل إليهم إلّا بصعوبة، ولابدّ أن يكون ذلك في اللّيل، ولابدّ أن يكون هناك أوضاع، بينما الآن الكهنة والسّحرة عندهم بريد إلكتروني، وتتواصلين معهم عن طريق أدوات التّواصل، بل من البلاء الّذي نحن فيه أنّ هناك كلّيّات في العالم الإسلامي تعلّم الكهانة والسّحر! وهناك مبيعات تُباع عن طريق التّجّار، تمائم تشترينها! تميمة تسحب عنك الطاقة السّلبيّة! وإلى آخره.

وبعدما كان مدفونًا شرك التّبت، وجبال التّبت، وغيرها، أصبح مشهورًا ومنشورًا وكلّ النّاس يعرفونه، ويأخذون الطّاقة السّلبيّة والإيجابيّة، الإله! تخيّلِي هذه الطّاقة السّلبيّة والإيجابيّة، والكلام الّذي حولها -أنا أقولها في عجالة، والّذي يريد أن يعرف الحقائق فإنّ هناك أهلها- هذه أصلًا من فكرة الحلول والاتّحاد! هؤلاء الجماعة ماذا يعتقدون؟ يعتقدون أنّ الإله هو الكون، والكون هو الإله، ومن ثمّ أنت من أجل أن تصبح عندك طاقة لابدّ أن تصيري في حالة من الشّفافيّة لأجل أن تأخذي من طاقة الإله الّذي حولك، ومن ثمّ فأنت عندك (شَكَرات) -وهذه الكلمات طبعًا الّتي يستعملونها الّتي فيها الفلسفة!- وهذه مفتوحة لك، أَدْخِلِي الطّاقة من أجل أن يصير، ويصير، ويصير!

مقصدِي: أنّ الشّرك له أشكال وألوان، وكلّما جاء عصر وجيل زالت المصائب القديمة، وجاءت المصائب الّتي أعظم منها! وأصبح النّاس بعدما كانت التّمائم ورقة هكذا مقفلة، وخَرِبَة، وفيها حبال، ويخفونها، صارت عبارة عن حليّ يلبسونها! وهذه الحليّ تمنع عنهم كذا! وكذا! وإعلانات وكلام!

وهذا قد ورد في الحديث: «أَنَّ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً، أُرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرٍ»، يعني: نحاس. فسأله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- «فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ؟»، يعني: من مرض الواهنة، إمّا أنّه يدفع عنه المرض، أو أن يكون مريضًا بها فيريد أن تكون سببًا للشّفاء! «قَالَ: أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا انْبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»[1]، كلام صريح، النّحاس وغيره ممّا يستعملونه، فهذا الكلام من الزّمن الماضي لكن يخرج بأشكال وألوان مختلفة!

فمن أجل أن تدخلي في السّلم كافّة؛ لابدّ أن يكون التّوحيد من الشّؤون الّتي تراجعينها دائمًا، والمشكلة: أنّه بسبب المادّيّة الشّديدة الّتي فيها النّاس؛ دائمًا يريدون تجريد المسألة عن أصلها، وعن جذرها التّاريخي، فيقولون: (وماذا يعني أن ألبس خيطًا أحمر! هو خيط أحمر أتيت به من الشّارع، يعني لن يفعل لي شيئًا ولا أنا الّذي أعتقده)! **اسمع**: (الخيط الأحمر هذا الّذي في يدك، أصله عند من يعتقده كذا! وكذا! ولو تعرف أصول الشّريعة، ستعرف جيّدًا أنّك ممنوع من المشابهة تمامًا، وأنّ هذا الّذي لبّسك الشّيطان إيّاه اليوم وجعلك تُعجب به، غدًا ستعتقده! وإذَا ما اعتقدت أنت فستعتقد به أجيال بعدك وسيُنقل هذا التّاريخ القديم! وكونك تجهل التّاريخ فهذا ليس عذرًا! معناه: أنّك أنت تشابه هؤلاء!).

وأريدك أن تتصوّري: حين يكون هناك علامة -الله يحفظنا جميعًا- على الشّواذ في لباسهم، أو علامة على النّساء اللّاتي يقعن في الجريمة والرّذيلة،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده(١٩٦٢٤).

أنّهم يلبسون قرطين! أنّهم يلبسون كذا! وفجأة تتفاجئين أنّ بنات المسلمين يفعلون مثل هذا! وتكون هذه الصّورة هي بالضّبط ما يفعلها عند هؤلاء إلّا هذا الأمر! هذه المشابهة الظّاهرة، الشّريعة منعتها، منعت الشّريعة أن تشابه أهل الباطل بأيّ صورة من الصّور. فكوننا لا نعرف الجذور، جاهلين بالجذور، لا تحسب المسألة واحد زائد واحد! لا! وإنّما احسبها من جهة الجذر، وأنّ مشابهتك لأهل الكفر، وأهل الباطل، شهادة منك بقبول أحوالهم، رضيت أم لم ترضَ!

على كلّ حال، الشّرك وما يتّصل به من الأمور الّتي تحتاج دائمًا إلى تجدّد، هذا النّوع خاصّةً لابدّ أن تفهمي فيه، أو تسمعي ما يقوله العلماء، وتعرفي أنّه إذَا حكموا على مسألة لا تتردّدي كثيرًا. ونفترض جدلًا: أنّه جاء أحد حكم على شيء بحكم، وقال لك: (لا تلبسيه!)، وبعد ذلك تبيّن أنّ الحكم غير صحيح، فأنت لا يضيع أجرك.

إذَا كان الصّحابة الكرام لمّا صلّوا إلى بيت المقدس زمنًا طويلًا، لمّا هاجر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ تحوّلت القبلة، ماذا قال الله عزّ وجلّ؟ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[1]، يعني: أيّ شيء تحتسبيه حتّى لو خرج في النّهاية: (أنّه ليس هذا حكمه)؛ فإنّ كلّ الأيام الّتي اتّقيت فيها الله، وتركت فيها الأمر الباطل وكنت قد اعتقدت أنّه باطل؛ فأنت مأجورة عليه، لا تقولي: (لماذا ما قالوا لنا منذ زمن أنّه حلال؟)! لا تقولي هكذا! هل أنت اتقيت الله؟ إذًا فالله سيعطيك الأجر، وهناك كثير من أنواع البيع كانوا في الزّمن الماضي يقولون

(١) البقرة: ١٤٣.

عنه أنّه محرّم، وبعد ذلك أتت الفتاوى أنّه لا بأس بهذا النّوع إذَا حذروا من كذا، وحذروا من كذا، فيأتون يتحسّرون على الأيّام الّتي اتّقوا فيها الله! لماذا تتحسّر على الأيّام الّتي اتّقيت فيها الله؟ فأنت مأجور على التّقوى! ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾. إنّ المادّيّة القاتلة جعلت النّاس حتّى تقواهم يندمون عليها! على كلّ حال، هذا ليس موضوعنا.

الرّابعة:

دعنا: نأتي بالرّابعة والخامسة، نحن كنّا وصلنا إلى الآية (٥٩)، **وهي:** النّقطة الثّالثة. نأتي إلى الآية (٦٠)، والآية (٦١):

- في الآية (٦٠)، وصف الله -عزّ وجلّ- هؤلاء بأنّهم: ﴿يُؤتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُم وَجِلَة أنّهم إِلَىٰ رَبِّهِم رَٰجِعُونَ﴾، نخرج من هذه بأمر مهمّ، وهو: من أجل أن تدخل في السّلم كافّة، لابدّ من تقوية اليقين بلقاء الله، الّذي يورثك الإخلاص. ﴿وَالَّذِينَ يُؤتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُم﴾، ما وصفها؟ ﴿وَجِلَة﴾، وجلة لماذا؟ ﴿أنّهم﴾، بسبب ﴿أنّهم إِلَىٰ رَبِّهِم رَٰجِعُونَ﴾؛ إذًا: هذه المسألة لابدّ أن تقوى في قلوبنا من أجل أن ندخل في السّلم كافّة:
  - لابدّ أن نفكّر في لقاء الله.
  - وعلى ماذا سيُحاسبنا الله؟

وهذا سيورثنا أعمال القلوب عمومًا، وخاصّةً الإخلاص.

إذًا: من أجل أن تدخلي في السّلم كافّة ماذا تفعلين؟ اعتني بالإيمان باليوم الآخر، يعني: حين يصير شاغلك لقاء الله؛ ستفكّرين دائمًا بأنّ ربّنا سيُحاسبك على متابعة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، على احتسابك للأمور، ستُفكّرين في هذا؛ فهذا سيُدخلك في السّلم كافّة، وما يجعلك تأخذين جزءًا من الدّين، وتتركين بقيّة الدّين.

ولذَا لو سأل الإنسان نفسه دائمًا: (أنا سأفعل هذا، وماذا سأقول لربّ العالمين حين أفعله؟)، إذَا وجدت إجابة أنّك ستقولين: (أنّني أنا فعلت مثلما أمرتني يا ربّ، فعلت مثلما أمرني الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- في قوله -صلّى الله عليه وسلّم- كذا، مثلما قلت لي في قولك كذا، وكذا)، لو وجدت إجابات على كلّ شيء تفعلينه فإنّك بذلك تدخلين في السّلم كافّة.

إذًا ما هي النّقطة الرّابعة؟ تقوية الإيمان باليوم الآخر، كيف يُدخلك تقوية الإيمان في السّلم كافّة؟ أيّ خطوة ستضعين قدمك فيها ستسألين نفسك: (هذا ما هو منطلقه؟ من أيّ باب؟)، الآن ستبرّين والديك أحياء كانا أو أمواتًا؛ **السّؤال**: تفعلين هذا لماذا؟ نعم، ذكّري نفسك بما تقرئين في كتاب الله: (أنت يا ربّ أمرتني بذلك في قولك كذا، ورسولك -صلّى الله عليه وسلّم- قال كذا)؛ فأنت كلّما زدتِ تعلّمًا بوظائفك، زدتِ استعدادًا للقاء الله، فهذا سيجعلك لا تضعين قدمك في مكان خطأ؛ فيأتي من يقول لك: (افعلي كذا! افعلي كذا!) من الأشياء الّتي لا تعرفين عليها دليلًا، ويأمرك -أنا أتكلّم عن علاج الحزبيّة الآن، نفكّ الحزبيّة- يأمرك بشيء ليس له أدلّة، لا صريحة، ولا ضمنيّة، ولا باللّزوم؛ لابدّ أن تسألي نفسك: (وقتما سأُقابل ربّنا ماذا سأقول؟)

معنى ذلك: أنّ الاستعداد للقاء الله سيسبّب أن يبحث الإنسان عن حقائق المسائل، لا أن يصير فقط تابعًا دون أن يكون عنده دليل يدلّه، دون أن تكون عنده حجّة يقولها حين يقف بين يدي الله: (أنّه أنا فعلت كذا، من أجل كذا).

الخامسة:

نأتي إلى الآية (٦١)، ونقول المسألة الخامسة: ممّا يدخل الإنسان في السّلم كافّة: مسارعته في الخيرات؛ كلّ باب خيرات يعرفها في الدّين وفي الفطرة أنّه خيرات، يُسارع فيها. وهنا ستكبر المسألة، سيصير في الدّين، وفي الفطرة، يعني من أوّل نقطة اتّفقنا عليها للأخيرة؛ الآن أنت مؤمنة أنّ ربّنا شكور؛ والشّكور معناه: أنّه يعطي على العمل القليل الأجر الكثير، وهناك أبواب للخيرات معلومة -ليست بالشّريعة، أقصد: بالفطرة السّويّة وبالأوضاع الاجتماعيّة- يعني: معلوم أنّك أنت لو ساعدت أحدًا **مثلًا** في تعلّمه الخير. كيف هو اليوم تعليم الخير؟ مختلف عن قبل عشر سنوات، عن قبل مائة سنة؛ اليوم لو أعطيته **مثلًا** مالًا من أجل أن يتعلّم القرآن، يصير أنت سارعت في الخيرات. ليس شرطًا أن تعلّميه مباشرةً، ممكن أن تعطيه مالًا من أجل أن يتعلّم، تشتري له كتابًا من أجل أن يتعلّم، تفعلين له أمورًا الشّريعة ما نصّت على نوعها؛ إنّما هي تدخل في الأصل تحت الخيرات. فكلّ باب خير تجدينه، ماذا تفعلين به؟ تُسارعين وأنت تعتقدين أنّ ربّنا شكور، لا تحصري نفسك في مساحات ضيّقة، وتقولين: (أنا ما أفعل إلّا هكذا، يكفيني أنّي فعلت كذا، وكذا، يكفيني أنّي مع حزبي، أو مع جماعتي ساعدتهم)! لا! وإنّما انظري: المسارعة في الخيرات تكسر الأحزاب، لماذا؟ لأنّك أنتِ لن تُساعدي فقط في

مجموعتك ولا في جماعتك، ماذا ستفعلين؟ الّذي ستجدينه من باب خير قريبًا كان أو بعيدًا ستُقبلين عليه. سأضرب مثالًا افتراضيًّا:

تصوّري: أنّك معلّمة قرآن، وهذه جماعتك الّتي تدرسين وتُدرّسين معهنّ، وتساعديهنّ وتعلّميهنّ وكلّ شيء -جزاك الله خير- بعد ذلك جاء أحد من الخارج، من مدرسة ثانية قال لك: (أريدك أن تساعديني كيف تعلّمين النّاس؟ كيف ينجح النّاس عندكنّ؟ كيف قمتنّ بهذا النّشاط الّذي أفاد النّاس؟)، فتجدين في نفسك حرجًا أنّك تعطيه خبرتك! هذا من المؤكّد أنّه حزب! ليس هناك تفاهم، وأنا أتكلّم هنا خاصّةً بالنّسبة للدّين، أمّا بالنّسبة للدّنيا فهذه مسألة أخرى، وإن كانت هي ليست شيئًا طيّبًا، لكن أنا ليس لي علاقة بها؛ لأنها لن تُدخلني في الحزب الّذي أتكلّم عنه.

كونك عندك طريقة نافعة للمسلمين، وتحصرينها على جماعتك؛ فهذا حزب! سواء سمّيتنّ أنفسكنّ حزبًا، أو لم تسمّوا أنفسكنّ.

فهذه مدرسة للتّحفيظ، أو هذه مدرسة للتّعليم، رفعت شعارًا وخدمت المسلمين، لا يأتي في بالها أن تقول للبقيّة: (تعالوا يا جماعة، إنّ كذا وكذا ينفعكم، كذا وكذا تفعلون لأجل أن يستفيد النّاس)، لو جاء أحد سألها؛ لا تعطيه! على أساس ماذا؟ تقول لك: (هذا جهدنا، هذا تعبنا)! إذًا: هؤلاء لا يسارعن في الخيرات! ومن ثمّ فإنّ هؤلاء حزب، لكن الّذي يكون ليس حزبًا فإنّه أيّ فرصة يجدونها قريبة كانت أو بعيدة، النّاس يعرفونه أو لا يعرفونه، سيُنسب إليك أو لا يُنسب إليك، يُنسب لجماعتك أو لا يُنسب، ماذا سيحصل؟ ستُسارع بالخيرات. فيقولون لها: (نحن نعطيك فقط بشرط ضعي

اسمنا من فوق! ضعي اسمنا تحت! ضعي اسمنا على الأوراق! قولي هذا نقلتيه من عندنا)! كلّ هذا الكلام حزبيّة!

الشّاهد الآن: أنّ الّذي يريد أن يخرج من التّحزب ماذا سيفعل؟ ينفع المسلمين كلّهم، ويرى كلّ المسلمين مكانًا للخير، ليس فقط جماعته؛ وهذه أكثر مشكلة تحصل: أنّ الجماعة المتحزّبين لا ينفعون إلّا جماعتهم، الّذي يدخل في حزبهم ينفعونه، والّذي لا يدخل في حزبهم ليس من المسلمين، يمشون عنه ويتركونه!

إذًا: الخامسة والمهمّة جدًّا، أنّنا نُسارع بالخيرات لكلّ النّاس. لكن يأتي أحد يقول لك: (أنا أخاف إذا أعطيتها لا تعرف كيف تنفّذه مثلًا، وتقول لها: (تعالي أنا أدرّبك، وبعد ذلك اذهبي)؛ ليس هناك مشاكل في مثل هذا لأنّه صحيح أحيانًا لو أعطيتها لا ينفعها، لابدّ أن أدرّبها، وبعد ذلك تنفع، لا بأس لكن المهمّ في أنفسنا أنّنا لا نريد أن نكون حزبًا؛ إنّما نريد أن نسارع في الخيرات.

جزاكنّ الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللّقاء الرّابع عشر

١٣ربيع الآخر ١٤٤٠

تابع باب الفرح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه، أن يجعلنا في مجلسٍ ومعنا الملائكة، بل نسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعل معنا جمهرةً من الملائكة يستغفرون لنا، وتُكتب في صحائفنا، ونلقاها عند ربّنا نورًا وضياء، اللّهمّ آمين.

اليوم نُتمم ما يُمكن إتمامه من الكلام عن **كبيرة الفرح**.

كنّا وصلنا إلى آية **سورة المؤمنون**، وأخذت منّا اللّقاء الماضي كلّه، وآخر اللّقاء السّابق، ولا زال فيها من الأسرار ما فيها، وكتاب الله -عزّ وجلّ- لا يُفرغ من دراسته.

سنترك **المؤمنون**، ونبدأ **بآية النّمل** سريعًا، ورد الكلام عن **الفرح** في **سورة النّمل**، الآية (٣٦). أذكّركنّ الآن، نحن ما هي دراستنا؟ نحن في الأصل نتدارس الكبائر، وهذه الكبائر نُصّ عليها في القرآن، وذُكرت في سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

⇐ منها كبائر قلبيّة.

⇐ ومنها بدنيّة.

الكبائر القلبيّة، ابتدأنا بها لعظمتها وخطورتها وعدم الالتفات لها، فكان من بين الكبائر الّتي ذكرها الشّيخ: **كبيرة الفرح**. فحين نأتي عند هذه الكلمة الّتي هي كلمة **الفرح**، ونقول عنها إنّها كبيرة، سيُفاجأ النّاس! سيقولون: (وهل من المعقول أنّ الدّين يريد منّا أن نكون أصحاب أحزان؟!)، لا! أكيد ليس هذا! بالعكس الدّين يريد منك أن يكون قلبك مستقرًّا، مطمئنًّا، ويريد منك أيضًا أن تستعيذي من الشّيطان، الّذي مقصده إحزان الّذين آمنوا، **إذًا أكيد**: أنّه لا يريد منك الإحزان، لا يريد منك الحزن أبدًا، لكن حين تسمعين **كبيرة الفرح**، تعرفين أنّ **الفرح** ينقسم إلى قسمين:

١) فرح محمود.

٢) فرح مذموم.

تعرفين هذا الشّيء مباشرةً، بدون أن يشرح لك أحد، فأنت بمجرد أن تسمعي هذه الكلمة، لا تظنّي في الشّريعة إلّا خيرًا، وتقولين: (أكيد أنّ هذا الممنوع فيه من المشاعر الباطلة الّتي من أجلها أصبح ممنوعًا).

في كلّ الآيات الّتي درسناها سابقًا، ومرّ علينا **الفرح** الممنوع، تبيّن لنا لماذا هو ممنوع؟! صاحبه سيكون في حالة من الأشر، من البطر، من حبّ الدّنيا، لذلك هذا النّوع من **الفرح** أصبح مذمومًا؛ لأنّه لا يجعل أصحابه يتخلّقون بالخلق الحسن! ولا يسلكون مسلكًا حسنًا! فهذا **الفرح** يسبّب لهم أنّهم يستغنون عن ربّ العالمين! ويتكبّرون على المسلمين! لأنّهم فرحين بما عندهم!

فالآن نقرأ في الآيات لأجل أن نزداد بيانًا، لكن سنُذكّر أنفسنا: ما هو **الفرح** المحمود؟ **الفرح المحمود** هو **الفرح** كما قال الله -عزّ وجلّ- في **سورة يونس**: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[1]، هو أن تفرحي بفضل الله، برحمة الله، الّتي يكون الأصل فيها الدّين، القرآن، الإسلام، معرفته سبحانه وتعالى.

المفترض: أنّ كلّ مجلس نزداد فيها معرفة بالله، نخرج ونحن في نفوسنا انشراح في الصّدر، وكلّ مرّة **نتذكّر** أنّه سبحان الله وبحمده مائة مرّة، تُكفّر سيّئاتنا ولو كانت مثل زبد البحر؛ نفرح بذلك. وكلّ مرّة نسمع أنّ ربّنا ينزل في الثّلث الأخير من اللّيل يقول: (هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه؟) نفرح بذلك؛ حين نعرف أنّ الإنسان إذا صام رمضان -الله يبلّغنا ونحن بزيادة إيمان- أو قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له؛ نفرح بذلك. فهذا كلّه من **الفرح المحمود**. فإذا أتيت للدّنيا ستقولين: **الفرح المحمود** هو **الفرح** بنعمة الله لأنّها من الله.

ومن أجل أن تتصوّرن ذلك: إذا رفعتِ يديك ودعيتِ، وألححتِ ثمّ وجدت ما أعطاك الله، وصبرتِ ثمّ أعطاكِ الله؛ **الفرح** بأنّ الله سمعك، **الفرح** بأنّه استجاب لكِ، أعظم من **الفرح** بنفس العطيّة، و**الفرح** الأعظم في هذه العطيّة، ولو كانت دنيويّة أنّك ازددتِ يقينًا أنّه قريب، وأنّه مجيب، وأنّه بيده الملك، وأنّه عزيز، وأنّه حكيم، سبحانه وتعالى. يعني أنت تحبسين نفسك أيّامًا، تشتهين هذا وتريدينه، وتصبرين، تحبسين نفسك عن السّخط، ثمّ

---

(١) يونس: ٥٨.

تجدِين العطيّة تأتيكِ في أحسن وقت، في أحسن وضع، بأيسر ما يكون، فَتُؤْمِني بأنّ ربّك عزيز حكيم؛ فإنّ هذا تفرحين به، تفرحين بهذا الّذي عرفتِه أكثر من فرحك بعطيّة الدّنيا؛ وإن كان لا مانع من **الفرح** بعطيّة الدّنيا لأنّها عطيّة من الله؛ لأنها شاهد على أنّ الله سميع وقريب، ومجيب، وإلّا فإنّ المؤمن والكافر يُعْطَيَانِ من الدّنيا؛ والدّنيا لو تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا.

كيف نفرح ونطير في الهواء في شيء حتّى جناح بعوضة ما يساويه عند الله؟! لكن **الفرح** ليس بهذا نفسه، إنّما **الفرح** بالله، بعطيّة الله، برزق الله، بقرب الله، بسمع الله؛ ولذا تجدين أنّ العطيّة تجعل نفسك تنشرح، يأتي الشّكر، يأتي الحمد، يأتي الثّناء، تأتي الإنابة، فتفرحين بهذه الآثار الّتي تحصل لك من جهتين:

الجهة الأولى: من جهة أنّها زادتك يقينًا بربّ العالمين.

الجهة الثّانية: من جهة أنّها شرحت صدرك لزيادة الطّاعة والعبادة.

فهكذا تفرحين بعطيّة الدّنيا. أمّا **الفرح** بعطيّة الدّنيا الّذي يسبّب الاستغناء عن الله؛ أكيد سيكون هذا **الفرح** مذمومًا!

ولذا سنرجع مرّة ثانية، ونقول: إنّ رأس مالنا في التّقرّب إلى الله مشاعرنا، هذا الشّعور الإنساني الّذي يفرّق بين الإنسان والبهيمة، هذا هو بالضّبط مكان التّعبّد والتّقرّب، إلى درجة أنّه مطلوب منك أنّك تضبطين مشاعرك وقتما تأتيك النِّعَمة، فتفرحين بالله، وبقرب الله، وسمع الله، تفرحين لأنّها

عطيّة من الله، تشكرين الله، ينشرح صدرك لزيادة عبادة الله، وتبقى في نفسك شائبة خوف فتقولين: (لا تجعل عطيّة الدّنيا هي حظّي منك، بل رضاك والجنّة وما وراءه).

فمعنى هذا: أنّك تتقرّبين إلى الله وأنت تنامين على فراشك، وأنت صامتة لا أحد يسمعك، بما يقع في قلبك من فرح بالله وبمعرفته، بما يقع في قلبك من فرح بدين الله، وبكمال الله.

تصوّري: أيّ أمر من الدّنيا يأتيك سبّب لك الغمّ، والشّيطان لابدّ أن يوسوس لك مباشرةً أوّل ما تأتيك؛ فالشّيطان ونفوسنا والأحوال الّتي حولنا، تأتي لك بالغمّ: (أنّه مطلوب منك أن تفعلي هذا الفعل، أو مطلوب منك أن تقومي بهذا الواجب)، وأنت الآن تستعدّين للقيام بهذا الواجب ونفسك كلّها غمّ، وبعد ذلك تتذكّرين أنّ ربّنا مُعين، أنّك لو استعنتِ به أعانك، وأنّ ربّنا يُنزّل عليك العون والقوّة، فتفرحين بذلك. تفرحين أنّك عرفتِ ربّنا، وأنّه هو بهذه الصّفة.

تصوّري: عندك ضيوف، وما عندك من الطّعام إلّا القليل. وانظري: عقلنا كيف يدور يبحث عن حلول؟ بعد ذلك يخرج من قلبك ما تعتقدين، وأنّ ربّ العالمين يبارك، فتسألين الله أن يُبارك، ويُبارك الله، فيكفي ضيوفك ويزيد أيضًا، ومن جربّ يعرف هذا جيّدًا.

الفرح الآن بماذا؟ هل لأنّنا تجمّلنا أمام النّاس ولم يُعَبْ علينا؟ لا! وإنّما **الفرح** بالشّيء الّذي تيقّنت به، الّذي وصلت به إلى درجة اليقين: (أنّ ربّنا لو نزّل البركة على شيء فاض، وزاد، وحصل منه كذا وكذا)، فبهذا يفرح

الإنسان، حتّى لو كانت عطيّة في الدّنيا، **إذًا**: كلّ هذا سيرجعنا إلى نقطة البداية: أنّ هذا هو فضل الله ورحمته. حتّى لو كان شيء في الدّنيا.

إذًا معنى ذلك: أنّ فضل الله ورحمته الّذي في **سورة يونس**، وإن كان في الأصل هو القرآن والإسلام، لكن القرآن والإسلام فيهما مضامين، ففي القرآن والإسلام معرفة الله، معرفة عظمة الله، معرفة كمال الله، فحين تأتي العطايا الدّنيويّة، أنت يظهر لك فيزداد يقينك، فبهذا تفرحين، تفرحين أنّه صار هذا الموقف؛ لأنه زادك يقينًا كأنّه بالمسألة النّظريّة الّتي تعرفينها.

ولو نظرنا فقط في مسألة البركة بالمناسبة: لمّا جاءت الرّياح المادّيّة والعلمانيّة، جعلت المسائل كلّها مادّيّة، يعني لا تقولي لي: (إنّ واحد زائد واحد يساوي شيئًا غير اثنين)! ولا تقولي: (إنّ كأس الأرزّ هذه ستكفي عشرين نفرًا لأنّه عدّي حبّاتها)! هكذا بهذه الطّريقة!

فكلّما زادت المادّيّة والعلمانيّة انزاح مفهوم البركة، البركة الّتي هي مفهوم شرعيّ أساسي، نؤمن بها ونقرأ سورة تبارك! المشكلة: أنّ بعض النّاس صارت البركة عندهم مفهومًا يدلّ على الدّروشة، وإذَا كانوا يريدون وصف أحد يكون ليس له قيمة؛ يقولون: (هذا يسير بالبركة)!

ونحن دائمًا نقول: يا ليتنا كنّا نمشي بالبركة! ما كانت ظهرت هذه الأحقاد بين النّاس والحسد، وما كان ظهر هذا الصّراع كلّه الحاصل بين النّاس من أجل الدّنيا، ولا كانت ظهرت هذه الأمراض القلبيّة والنّفسيّة، لكن انظري كيف تُزَاحُ المفاهيم؟!

والمشكلة: حين تكونين عشتِ وتربّيت على أنّ هناك بركة، وبعد ذلك يُزاح المفهوم بسبب الواقع، وبعد ذلك ربّنا يُشهدك أنّ البركة هي الحقيقة، حين تصلِين للمفهوم لا تفرحين به! ما يحصل لك أنّك تفرحين به! وتقولين: (نعم، وجدت شيئًا كان غائبًا عنّي، ولابدّ أن أتعلّمه وأعيده على نفسي وأعلّمه للنّاس)، فإذَا لم نعبد الله تلك السّاعة **بالفرح**، ماذا يحصل؟ يرجع يُزاح مرّة أخرى من عقولنا! يُزاح من مفاهيمنا! يُزاح من تربيتنا لأبنائنا!

والمفترض حين يحصل هذا الموقف وتجدين بركة في شيء، كأنّك وجدتِ كنزًا غائبًا، وتفرحين به جدًّا، وتعيشين على أثره، وتبقين تقولين: (أنا ألم أعش البركة؟ ألم أرَ كيف أطلب من الله بركة فيُنزّل بركة في الوقت، في الجهد، في القوّة)، من المفترض أن نفرح فنتمتّع، نفرح بمعرفة الله.

سنعيد مرّة أخرى ونقول: **آية سورة يونس** ستشمل كلّ شيء، فضل الله، ورحمته بالقرآن والإسلام، وما يترتّب على ذلك من معرفته سبحانه وتعالى، ومن معرفة حقيقة الحياة، الّتي ستعرفينها من القرآن والإسلام.

هكذا الأمر واضح في **الفرح المحمود**. سنمشي سريعًا في **الفرح المذموم**.

التّعليق على دليل موطن سورة النّمل (٣٦)

سورة النّمل، الآية (٣٦). هذه السّورة فيها قصّة سليمان مع بلقيس، وكيف أنّها في هذا الموقف أرسلت هديّة. فماذا كان من سليمان؟ ﴿فَلَمَّا جَاءَ

سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[1].

هم الآن أعطوه هديّة على أساس أنّهم يختبرونه هل أنّه يحبّ الدّنيا ويريد المال؟ أم أنّه حقًّا أتى من أجل مفاهيم، ومن أجل إصلاح؟ لأنّه كيف عرف خبر بلقيس وقومها؟ عرف أنّهم مشركون يسجدون للشّمس؛ فخطابه لهم ليس خطاب طمع في الدّنيا؛ إنّما خطاب من أجل التّوحيد والإيمان. فهم يريدون أن يختروه: (هل أنت تريد الدّنيا أم عندك شأن صحيح؟!)، فأرسلوا له بهديّة. هو فهمهم مباشرةً، فردّ عليهم هديّتهم، وقال لهم كما في الآية: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾، يعني لأنّ أهمّ شيء عندكم الدّنيا، فحين يأتي المال يكون هو الّذي يأتي به الفرح، يعني ليس الصّلاح، والإيمان؛ إنّما المادّة. أنت ستقولين الآن: (لكن أنا أفرح بالهديّة! من الطّبيعي أن أفرح بالهديّة!)، لكن انظري: سليمان عليه السّلام، بيّن ذلك قال: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾، بمعنى هو في غنى عن دنياهم، في غنى عنهم بما آتاه الله، وفي نفس الوقت لا يريد أن يُخاطبهم، أو أن يتعامل معهم، أو أن يرسل لهم من أجل الدّنيا، إنّما من أجل الصّلاح والإصلاح، فقال لهم: (مثلكم حين يكون تفكيركم فقط الدّنيا؛ لا ترضون على الّذي أمامكم إلّا إذا أعطاكم شيئًا دنيويًّا).

إذًا: الآية في **سورة النّمل**، تدلّ على أنّ سليمان -عليه السّلام- ردَّ هديّتهم، بسبب أنّ القوم مطامعهم كلّها دائرة حول الدّنيا، فكأنّه يقول: (مثلكم يفرح

(١) النمل: ٣٦.

بالهديّة، ومثلي -يعني مثل سليمان- يفرح بالصّلاح والإيمان)، كأنّ هناك طرفان:

الطّرف الأوّل: طرف يفرح بالصّلاح والإيمان.

الطّرف الثّاني: طرف يفرح بالدّنيا.

فهو يُخاطبهم هم أنّهم بهديّتهم يفرحون لأنّه ما الّذي يشغلهم؟ ما هو أهمّ شيء عندهم؟ الدّنيا!

وعلى ذلك دعنا نقيس في عقولنا: حين يأتي موقف ويكون الأمر يتّصل بصلاح في دين، نُصرة للدّين، وموقف فيه مصلحة مادّيّة لي، وأقيس مشاعري بين صلاح في الدّين حتّى لو ما كان لي -صلاح في الدّين عامّ أو حتّى خاصّ- وهديّة أجدها، فإذا وجدت نفسي الهديّة هي المطمع، أو المادّة هي المطمع، معناه: نحتاج إلى مراجعة.

ودعنا نتصوّر الأمر: الآن نتكلّم عن النّاضجين الكبار -اتركي الصّغار- هذه تحفظ القرآن، من المفترض أن يكون الفرح بالقرآن أنّه صار في صدرها؛ ولو صار في صدرها فإنّ هذه نعمة ما فوقها نعمة إذا كان زاد إيمان الإنسان بسببه ويقينه.

ولم يقيموا لها حفلة، ولا احتفلوا بها، ولم يعطوها هدايا ولا أيّ شيء، بينما أقاموا لغيرها بعد ذلك. دعنا نرى: مشاعرها كيف تصير؟ أنتنّ تعرفن ماذا سيحصل في غالب الأحوال إلّا من رحم ربّي! يصير في قلب الإنسان: (أنّه أنقصوني! لماذا لم يعطوني هدايا؟!) لا تقولوا لي: (هذا طبيعي) القرآن لا يوجد

شيء أصلًا يوازيه، وهل أنتِ حفظتِ من أجل أن يعطيكِ النّاس هديّة؟! أو يقيمون لكِ حفلة؟! إذَا كان (لا)، إذًا: (لا) من البداية للنهاية! وليس (لا)، وحين يقيمون لغيرك تغضبين! وليس (لا)، وحين يقومون بإعطاء غيرك تغضبين! وليس (لا)، ثمّ تتحرّجين في نفسك؟! (لا)، يعني: (لا).

(لا)، يعني تأتين تقولين لهم: (من قال لكم إنّني أريد هديّة!). (لا)، يعني عند بعض السّلف أنّه يُخفي حفظه لكتاب الله، لأجل أن يبقى خالصًا لوجه الله.

بعد هذا سيتبيّن لنا كيف أنّ هناك مشاكل كثيرة أنّه تُراد الدّنيا بعمل الآخرة، يعني يصير الإنسان يعمل العمل الّذي من المفترض أن يكون خالصًا لوجه الله لأجل أن يستفيد منه في الدّنيا، وبها يفرح، يعني يفرح بشأن الدّنيا ولا يفرح بشأن الآخرة، فهذه حالة الدنّيويّين، أنّ الآخرة عندهم ليست على البال؛ أهمّ شيء هنا في الدّنيا. سيزيد الأمر بيانًا حين نذهب لسورة القصص.

التّعليق على دليل موطن سورة القصص (٧٦)

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[1].

الآن واضح ما هو **الفرح المذموم** الّذي كان في **سورة النّمل**. هذا قارون وقد اشتهرت قصّته، وكان من قوم موسى فكان متوقّعًا أنّه يكون معه من الإيمان والتّقوى ما يمنعه من هذه الحال، ابتُلي بأنّ الله -عزّ وجلّ- آتاه من

(١) القصص: ٧٦.

الكنوز ما هذا وصفه، أنّ مفاتيح الكنوز، تصوّري الخزنة يكون مفتاحها صغيرًا على قدر حجمها، فهذه الخزنة، وهذه الخزنة، وهذه الخزنة، من كثرة مفاتيح الخزائن ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾، يعني من أجل أن يحملوا هذه المفاتيح من كثرتها يصعب عليهم. ﴿بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾، جماعة من الرّجال أقوياء يأتون فقط لحمل المفاتيح فيثقل عليهم. **إذًا**: ما هي هذه الكنوز الّتي عنده؟ الشّيء الكثير.

الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، سنرى بعد ذلك: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ كيف حصلت هذه؟ الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿آتَيْنَاهُ﴾، ولاحظي: هنا أنّ النّون نون العظمة، فمعنى ذلك: من أين له هذه الكنوز؟ الله. أبدلي نون العظمة بالاسم الظّاهر ستقولي: (آتاه الله)، يعني ليس من عنده. إذًا: ﴿كَانَ مِن قَومِ مُوسَىٰ﴾، فكان من المتوقّع أنّه يعرف الإيمان. آتاه الله، كان من المتوقّع أن يعرف أنّ هذا ليس بيده. ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ ما هذا وصفه؛ وقد عرفنا وصفه. ظهر عليه من علامات البغي ما جعل قومه ينصحونه. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، هذه كأنّها النّتيجة النّهائية من البداية. ما هي البداية؟ **الفرح**! قال له قومه في النّصيحة: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾، بمعنى لا تستغنِ عن الله، ولا تتعامل مع نعمة الله معاملة من يظنّ النِّعَمة أنّها ملكه، وأنّه بها غنيّ عن الله.

المشكلة: أنّه حين يصير عند الإنسان نعمة، يظنّ أنّها ملكه ولا شيء يغيّرها، ويستغني بهذه النِّعَمة عن الله. يعني ماذا يستغني عن الله؟ يعني لا

توجد إنابة، لا يوجد انكسار، ليس هناك طلب، ليس هناك سؤال، ليس هناك شكر.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾، أكيد أنّ **الفرح** المقصود هنا: **الفرح المذموم**، فمن خلال هذه القصّة سنرى أسباب **الفرح المذموم**، منها، ومن **آية سبأ**؛ على الأقلّ **سنقول**: **الفرح المذموم** له ثلاثة أسباب:

السّبب الأوّل: نعمة أنعم الله بها على الإنسان. يعني هي النِّعَمة تستوجب الحقيقة أن يشكر الإنسان، لكن هذه نقطة البداية الّتي يختلف فيها النّاس بين شاكر، وبين كافر. **إذًا**: النّقطة الأولى من أجل أن يأتي هذا النّوع من **الفرح** أن تأتي نعمة من الله.

السّبب الثّاني: يتعامل الإنسان مع هذه النِّعَمة على أنّه هو ربّها ومالكها ومُوجدها، وليس أُنْعِمَ بها عليه، لا! وإنّما هو أوجدها! ولأجل ذلك يقول: (بذكائي، بقوّتي، بفهمي، بعلمي، إلى آخره)

السّبب الثّالث: تأتي نعمة ويجد نفسه قد نسبها لنفسه، ثمّ الأمر الثّالث يستغني عن الله بها.

دعنا نرى: مسلك العبد الثّاني، الّذي هو خلاف هذا العبد، الّذي لم يفرح الفرح المذموم. هناك نعمة أتته. أوّل أمر ماذا فعل مع النِّعَمة؟ نسبها إلى الله وتجرّد من حوله وقوّته.

وإنّ هذه هي المشكلة الكبيرة، فبداية المشكلة أن يعتقد الإنسان أنّ هذه النِّعَمة جاءت منه، من قوّته، من قدرته، يعني يأتي أحد يقول له: (أنت

شخص محبوب، أنت شخص مقنع، أنت عندك علم)، نفترض، فتقوم هذه الكلمات ماذا تفعل في نفسه؟ تُشعره أنّه محبوب لأنّه محبوب! لأنّه خفيف الظّلّ! وليس لأنّ الله ألقى عليه محبّة منه. يعني هو الإنسان يتصوّر أنّ هناك نعمة، لو جاءه مال مثلًا منفصلًا عنه، لكن الصّفات الشّخصيّة النّاس ما يظنّون أنّها نعمة من الله وموهبة، وإذا كنت اليوم محبوبة، فلأنّ الله ألقى عليك محبّة منه، والّذي ألقى عليك محبّة منه يمحي عنك هذه المحبّة، والّذي ألقى عليك ذكاء فإنّه من الممكن غدًا أن تُصابي بالخرف وتفقدي عقلك -الله يحفظ علينا عقولنا-.

المقصد: إن كانت صفات ذاتيّة يملكها الإنسان في ذاته، أو كانت خارجيّة، فإنّها كلّها من عند الله، فأوّل مشاعر تأتي لك حين تشعرين بالنِّعَمة، لابدّ أن تتجرّدي من حولك وقوّتك من أجل أن لا يحصل **الفرح المذموم**؛ الخطأ في **الفرح المذموم** أنّه تأتي النِّعَمة، يشعر بالنِّعَمة، ويشعر أنّه هو صاحبها، مالكها، ربّها، الّذي أتى بها! الآن الأمّهات في أيّام الاختبارات، طوال اللّيل تدعو، وفي النّهار يدرّسن، أو يأتين بمعلّمين يدرّسن. وبعدما ينجحون، ماذا يحصل؟ يقول لك: (أصلًا أنا ذكي! وأنا فهيم! وأنا طوال عمري ما شاء الله عليّ)! أنت طوال الأسبوعين كنت ما دعيت مادام أنّك تشعر بنفسك مستقلّا عن الله! لكن أوّل ما تأتي النِّعَمة، من الخطأ أن أنسبها لحولي وقوّتي! لذكائي! لفهمي!

حتّى الأم تخطئ تقول: (لا! أصلًا هذا مجتهد، أصلًا هذا ذكيّ وفهيم)! صحيح هو ذكيّ وفهيم، **يعني** لا أستطيع أن أُكَذِّب أنّه ذكيّ وفهيم، لكن

الجملة الصّحيحة أنّك تنسبينها لله، ولا تقولي بإنّ هذا هو الّذي مستقرّ في قلبي!

ألسنا طوال الوقت نقرأ في **سورة الضّحى**: ﴿وَأَمَّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث﴾[1]؟ حدّثي، قولي: (أنعم عليّ، وهبني، أعطاني، رزقني، أكرمني)؛ كم هناك من أفعال لابدّ أن تنسبيها لربّ العالمين وتحدّثي بنعمته؟! كم؟! فتنسين هذا كلّه، وتقولين: (لا، أنا في قلبي أعرف أنّه ربّنا)! ولماذا هذه هي الّتي كتمتها في قلبك؟! لماذا تكتمينها في قلبك؟! في مقابل: أنّك تتفاخرين بأفعالك، وتكتمين في قلبك فعل الله! فحين لم تكتمي في قلبك فعلك أنت!

المسألة الآن دائرة حول عدم تجرّدنا من حولنا وقوّتنا، نتصوّر أنّ حولنا وقوّتنا؛ وبعد ذلك يأتينا ولدنا بنفسه، أو ابنتنا تقول: (أنا كنت حافظة هذه الإجابة، عارفة هذا السّؤال، قبل أن أدخل القاعة راجعته، ودخلت وما استطعت أن أكتبه!)؛ لأنه ليس بحولك وقوّتك، ولا بحولي ولا بقوّتي!

فالمقصد: أنّه لأجل أن نكون من أهل الإيمان ما هو المطلوب؟ أن ننسب النِّعَمة إلى الله؛ إذَا نسبنا النِّعَمة إلى الله سيترتّب الأمر الثّالث المهمّ، **يعني** أنت اشعري بالنِّعَمة وانسبيها إلى الله:

والأمر الثّالث المهمّ: اجعليها سببًا لزيادة الإنابة، والذّلّ، والانكسار، والرّجوع إلى ربّ العالمين، اجعليها كالذّاكرة الحيّة، الّتي تذكّرك أنّه ليس لك غنى عن ربّ العالمين، الّتي تزيدك ذلًا وانكسارًا له سبحانه وتعالى.

---

(١) الضحى: ١١.

فالمشكلة أين تكمن؟ أنّه حتّى لو جرّدت نفسي من الحول والقوّة، وقلت: (هذه بحول الله وقوّته)؛ هذه النِّعَمة لا تزيدني انكسارًا، فالمفترض أوّل ما تأتيك النِّعَمة تزيدك معرفةً بالله وانكسارًا له؛ وهكذا يكون هذا **الفرح فرحًا محمودًا**. يعني لو فرحت بالله، وبعطيّة الله، وفرحت بأنّ الله -عزّ وجلّ- سمع دعائك، وجبر كسرك؛ هذا **الفرح محمود**، أنّك زدت معرفةً بربّ العالمين.

فالمقصد الآن: قالوا له: ﴿لَا تَفرَح إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾، فمعنى ذلك: أنّ الّذي يدخل في هذا **الفرح المذموم** يدخل في بُغْضِ الله، وهذا أكثر شيء نخافه، نكون في الأرض منعّمين بِنِعَمِ الله، ثمّ يكون الله في السّماء يبغضنا! هو -سبحانه وتعالى- الرّبّ الكريم المستغني يتحبّب إلينا بالنِّعَم، من المفترض أنّنا نسعى ونحفد إلى رضاه؛ فالمقصد: لمّا قالوا له: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾؛ لأنه من قوم موسى، فكأنّهم أرادوا تحريك الإيمان في قلبه: ﴿لَا تَفرَح إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾.

الآية الّتي بعدها، علّموه ما هو المسلك الصّحيح الّذي يفعله من آمن بالنِّعَمة؟ بعدما مضى الكلام حول الثّلاث النّقاط:

١. أنّه يشعر بالنِّعَمة؛ فأوّل شيء لابدّ أن تشعري بالنِّعَمة.

٢. وجرّديها من الحول والقوّة.

٣. واجعليها تزيدك ذلًّا وانكسارًا.

٤. **في الآية يأتي الأمر الرّابع:** ماذا يفعل المؤمن الّذي فرح بالنِّعَمة فرحًا صحيحًا؟ ماذا قالوا له؟ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ

نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[1]، المقصد: أنّ كلّ هذه النِّعَم الّتي مُنْعَم بها عليك، أن تجعليها سببًا للقربى إلى الله: ما لَيَّنَ لك أعضائك إلّا لتركعي وتسجدي، ما قوّى بدنك إلّا لتصومي فتتقرّبي، ما أعطاك مالًا إلّا لتنفقي وتكون لك اليد العليا فترتفع منزلتك عند ربّ العالمين، ما أعطاك لسانًا إلّا لذكره، ما أعطاك بصرًا إلّا لتتأمّلي في آياته، ما أعطاك سمعا إلّا لتعرفي الحقائق؛ وإذا فهمت شيئا آخر غير هذا؛ تكونين ما فهمت أنت لماذا موجودة في الحياة: ﴿وَابتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الۡأٓخِرَةَ﴾، أنت لست موجودة لهذه الدّنيا.

وهذا يؤكّد عليكنّ ما فهمناه في **سورة النّمل**، أولئك الجماعة يفرحون بماذا؟ بهديّة الدّنيا؛ وأنت تفرحين بالنِّعَمة من أجل أنّها ماذا تفعل لك؟ تكون وسيلتك للدّار الآخرة. فيصير هذا الأمر الرّابع عند أهل الإيمان، **يعني**

- إذا كان أهل **الفرح المذموم**، النِّعَمَةُ تجعلهم يستغنون عن ربّ العالمين، فيغلقون على أنفسهم الباب!
- النِّعَمَة عند أهل **الفرح المحمود** تزيدهم ذلًا. هذا الأمر الثّالث.
- والأمر الرّابع: أيّ نعمةٍ كانت يتّخذونها وسيلة للقربى.

وأنتنّ فكّرن الآن في أدوات التّواصل الّتي بين أيديكنّ التّي هي مجرّدة تُعتبر نِعْمَة، ودعنا نرى: هل نحن نتعامل معها على أنّها نعمة تقرّبنا إلى الله؟ أم الأمر

---

(١) القصص: ٧٧.

خلاف ذلك؟ هذا موضوع يطول، وقد حصل فيه كلام كثير، والأمر تامّ الوضوح، لكن في النّهاية هذه أدوات التّواصل ممّا أعطاك الله:

⇐ لا تفرحي بها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾.

⇐ ﴿وَابتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا﴾.

وأنت كلّ نعمة تأتي بها ضعيها بهذه الطّريقة، وفكّري فيها بنفس الأمر، ما شعوري بها بأنّها نعمة؟ لأنّنا عندنا مشكلة في النّقطة الأولى -ولا نريد أن نعيد ونكرّر- فالمشكلة في النّقطة الأولى حيث أنّ هناك أناس عندهم نِعَم كثيرة وهم أصلًا لا يشعرون بها، فهؤلاء أصلًا قد خرجوا من **الفرح** وهم بصدد الدّخول في مرحلة **البطر! يعني** ما فرحوا بالنِّعَمة؛ لا! وإنّما ذهبوا عند **البطر بالنِّعَمة!**

لذلك هي ثلاث نقاط، ارجعن لها مرّة أخرى:

الّذي فرح **فرحًا مذمومًا** ماذا فعل؟ شعر أنّها نعمة، وشعر أنّه ربّها، وسيّدها، واستغنى بها عن الله!

الّذي من البداية لا يشعر بأنّها نعمة! صحيح أنّه لا يدخل في **الفرح المذموم**، لكن سيدخل في مشكلة أخرى، **وهي: البطر!**

وأكيد أنتنّ سمعتنّ الخطبة الأسبوع الماضي، وسمعتنّ كيف أنّ الشّيخ حفظه الله، في خطبة الحرم المكّي[1]، كيف أنّه أتى بأنواع متعدّدة للبطر

(١) الشيخ فيصل بن جميل غزاوي ـ خطبة الجمعة من الحرم المكي ٧ ربيع الآخر (١٤٤٠هـ).

الّذي يمارسه النّاس في حياتهم، فإذا ما حصل هناك شعور بالنِّعَمة؛ فإنّ الإنسان يخرج من **الفرح** المذموم ويدخل في البطر.

هكذا انتهينا من آيتين: من **آية النّمل**، ومن **آية القصص**.

التّعليق على دليل موطن سورة الرّوم (٤)

سنذهب إلى **الرّوم**، ونبدأ بالتّرتيب: نبدأ بالآية (٤) في **الرّوم**، بسرعة نشير إليها، اقرئيها: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

الآية في السّياق المشهور، **سورة الرّوم** هذه السّورة العظيمة، فيها كلام عن الرّوم والفرس، وما حصل بينهما من قتال، وكيف أنّ الرّوم غُلبت أوّلًا وهي على دين النّصارى، من أهل الكتاب. من غلبهم؟ الفرس الّذين يُعتبرون وثنيّين. ثمّ وعد الله -عزّ وجلّ- أنّه ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ سيحصل الانتصار.

الرّوم أهل كتاب، والفرس وثنيّون، والمسلمون أهل كتاب نزل عليهم القرآن الآن، فصاروا أهل كتاب. الوثنيّون، **معناها**: حتّى توحيد الرّبوبيّة لا يعترفون به. أهل الكتاب يعترفون بتوحيد الرّبوبيّة وعندهم تشويه في توحيد الألوهيّة، وأتى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لإصلاحه.

ماذا حصل في هذا الوقت الّذي نزلت فيه السّورة؟ الفرس غلبوا الرّوم. ماذا كان من حال المسلمين ومن حال المشركين في مكّة؟ المسلمون والمشركون تأثّروا بهذا الحدث، المشركون حصل لهم فرح بانتصار الوثنيّين، والمؤمنون

---

(١) الروم: ٤.

حصل لهم حزن بهزيمة أهل الكتاب. ماذا وعد الله في الآيات؟ أنّه ﴿فِي بِضعِ سِنِينَ﴾ سيتبدّل الأمر، وسينتصر الرّوم الّذين هم أهل كتاب على الفرس الوثنيّين. ووقتها ماذا سيحصل للمؤمنين؟ **هيّا انظري للآية**: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾. لماذا ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾؟ ﴿بِنَصرِ اللَّهِ﴾[1]. لمن؟ يفرح المؤمنون بنصر الله لأهل الكتاب، يعني لهذه الدّرجة **الفرح** محسوب عليك، بمعنى أنّه إذا كان هناك أهل كتاب وهناك وثنيّ، أنت ستفرحين بنصرة أهل الكتاب على الوثنيّ، ليس لأنّ هؤلاء أصحابنا، أو أنّ هؤلاء أحبابنا، أو جيراننا، لا! حتّى هذا محسوب عليك: أنّك تحبّين الله، وتحبّين دين الله، وتحبّين كلّ من ينصر دين الله، وإذَا كانت المسألة بين وثنيّ ونصرانيّ؛ فالنّصرانيّ أهون؛ اسمه: أهل الكتاب -طبعًا- الّذين هم من أهل الكتاب وليس العلمانيّين؛ العلمانيّون هؤلاء الّذين بدون دين ملحدين، اتركيهم فهم ليسوا في الحسبة، بينما الّذين في الحسبة هم الّذين هم أهل الكتاب مع الوثنيّين.

نحن الآن لا نتكلّم عن شريعة؛ وإنّما نتكلّم عن قاعدة، ما هي هذه القاعدة؟ أنّك إذا كنت من أهل الإيمان ستفرحين بكلّ ما ينصر الإيمان.

دعنا نأخذ من المسائل البسيطة جدًّا الّتي تمرّ علينا في اليوم واللّيلة، وكيف أنّنا نعبد الله بالفرح فيها؟ وكيف نؤجر عليها؟ الآن أنت تمشين في وقت صلاة المغرب فتجدين جماعة في شارع من الشّوارع الكبيرة ليسوا في مسجد؛ وإنّما في الرّصيف، واقفون يصلّون. كيف ستكون مشاعرك؟ **الفرح** مباشرة؛ هذا **الفرح** حسنات مباشرةً؛ لأنه فرح بالإيمان.

---

(١) الروم: ٥.

تقفين عند إشارة وتجدين الشّابّ قد أخرج مصحفًا ويقرأ، فماذا تفعلين؟ تفرحين؛ هذا **الفرح** حسنات. فكم لله علينا من فضل! أنّه حتّى هذه المشاعر الّتي تكون في قلبك لحبّ الدّين، ونصرة الدّين؛ فإنّ هذه مكتوبة في حسناتك أنت؛ فمشاعرك ليست لعبة!

ترين الشّابّ يذهب للمسجد، وأنت في حيّ، تمرّين به، وترين الشّباب قد خرجوا ذاهبين إلى المسجد، تفرحين بخطواتهم؛ هذا كلّه من **الفرح المحمود**.

⇐ فإنّ أهل الإيمان، من أدلّة إيمانهم فرحهم بمظاهر الإيمان.

⇐ وأهل النّفاق من أدلّة نفاقهم حزنهم على مظاهر الإيمان.

يعني حين تظهر ظاهرة إيمانيّة، وتجدين أنّ أحدًا قد انزعج منها بأنّه قد كثرت المتحجّبات في بلد من بلاد المسلمين! كثرت مدارس التّحفيظ! كثرت المساجد! يقول لك: (وهل نحن محتاجون للمساجد؟! ما أكثرها المساجد! لو كانوا بنوا مستشفيات لكان أحسن)! مثلًا، فهذه كلّها مؤشّرات خطيرة، قد يقولها الجاهل تقليدًا، لكن نحن نتكلّم عن الّذي يطلقها أصلًا؛ فالّذي يطلقها إنّما هذه علامة نفاق! **في مقابل**: أنّه من علامات الإيمان أنّك تفرحين بكلّ مظاهر الإيمان الّتي تنتشر، وحين تجدين امرأة -في آخر الدّنيا- لا تدرين عنها، أو في قرية من القرى، ثمّ إنّهم يقولون لك: (إنّها حفظت القرآن، وحصل كذا)،

فيقع في قلبك **فرح** بما يحصل من نشر للدّين، والقرآن، والإيمان؛ فهذا من علامات الإيمان. هذه الفائدة الأولى من **آية الرّوم**.

وعلى ذلك لا تبخلن على أنفسكنّ بالحسنات، حين تمرّ هذه المواقف لا تتلهّي بأيّ شيء، اعبدي الله، حين تمرّ عليك هذه المواقف اعبدي الله، حين تجدين **مثلما** يحصل في المراكز الآن -أسأل الله عزّ وجلّ أن يبارك فيها ويزيدها وينفع بها- الصّغار يحفظون المنظومات العلميّة، وتسمعينهم بدلًا من أن يردّدوا الكلام الفارغ يردّدون أبياتًا من كلام السّلف، فيدخل هكذا في قلبك الانشراح و**الفرح**، حتّى لو لم يكن لك دخل في الموضوع، أو لم يكن عندك أطفال، أو أحد من هؤلاء، لكن مجرّد وجود هذه المظاهر أمر يأتي بالفرح، فلا تحرمن أنفسكنّ من الحسنات الّتي تأتي من وراء هذه العبادة.

فإنّ **الفرح** كما أنّه ممكن أن يصبح كبيرة من كبائر الذّنوب؛ فإنّه من الممكن أن يكون عبادة وقُربى إلى ربّ العالمين، ما أرحم الله بنا، وما أعظم أبواب القُربى له سبحانه وتعالى، وما أقربها لنا هذه الأبواب!

في نفس **سورة الرّوم**، سنجد نوعا من **الفرح** المذموم، هذا في الآية (٣٢)،

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1].

هذه الآية في **سورة الرّوم** تردّنا إلى **آية سورة المؤمنون**، والكلام عن **الفرح** بما عند الإنسان من العلم، الّذي يؤدّي إلى الأحزاب؛ فلن نعيد الكلام عنها.

---

(١) الروم: ٣١_٣٢.

كان من المفترض وقتما شرحنا **سورة المؤمنون** نستشهد بهذه الآية الّتي في **سورة الرّوم**، سنتركها.

التّعليق على دليل موطن سورة الرّوم (٣٦)

سنبقى في **سورة الرّوم**، سنذهب إلى الآية (٣٦)، أنا قصدت بذلك: أنّنا نمرّ على كلّ الآيات الّتي في **الفرح** الّذي في القرآن:

- ✓ لأجل أن تجتمع لكنّ الصّورة.
- ✓ ولأجل أن نتعلّم كيف ندرس، يعني حين نقول مثلًا هذه كبيرة، هذه عبادة، كيف تعرفينها؟ في القرآن موجودة؛ فلا يوجد شيء تريدين ضبطه وتتركين نفسك ضائعة! من القرآن ابحثي عن الآيات الّتي تتكلّم عن هذا الأمر سواء بمنطوقه أو بمعناه.

سنرى الآية (٣٦) في السّورة:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[1].

هذه الحال حال غالب النّاس إلّا من حبسه الإيمان، يصيرون على حالتين متناقضتين:

- إذَا جاءت رحمة توافق هواهم فرحوا بها فرح الأشر والبطر الّذي كان في الصّفات السّابقة، الّتي مرّت معنا، أنّه يفرح ويعتبر نفسه هو ربّها، ويستغني بها عن الله.

---

(١) الروم: ٣٦.

في مقابل هذا: ﴿وَإِن تُصِبهُم سَيِّئَةٌ﴾، هذه تسوؤهم عكس النِّعَمة، وهي أصلًا ما أصابتهم إلّا ﴿بِمَا قَدَّمَت أَيدِيهِم﴾. ماذا يفعلون؟ مباشرة اكتئاب! مباشرة قنوت! يأس! تفكير في الانتحار! وهكذا يعلّون الدّرجة!

هذه الآية مهمّ أن نفهمها لأجل أن نعرف معنى الاضطراب الّذي يسمّونه اليوم الاضطراب النّفسي، وهو أحد الأمراض النّفسيّة، يعني يشخّصون بعض النّاس، فيُقول لك: (هذا عنده اضطراب نفسي).

ما هو سبب الاضطراب النّفسي؟ هذه الآية تختصر ما هو الاضطراب النّفسي. هذا واحد دائمًا عنده الموجة عالية؛ إذا جاءه فرح، ماذا يفعل؟ على أقصى حد يفرح ويبطر ويصبح في حالة من الاستغناء عن النّاس، ويبيع أهله وأصحابه ولا يهمّه شيء! هكذا يكون إذَا كان هناك فرح. على الجهة الثّانية تماما إذَا جاءه شيء يُسِيئُه فإنّه يقنط، ييأس، يشعر أنّه ليس هناك أمل في الحياة، اضطراب؛ فإنّ هذا ليس شيئًا طبيعيًّا!

المفترض ماذا يكون إذَا جاءت النِّعَمَة؟

- ✓ لابدّ أن تشعري أنّها نعمة.
- ✓ وتنسبيها لربّ العالمين.
- ✓ وتكون سببًا في زيادة ذُلِّك وانكسارك.
- ✓ وتستعمليها من أجل أن تتقرّبي.

إذا جاءت سيّئة؟

⇐ نصبر.

⇐ نحتسب.

⇐ نعرف أنّ الّذي أتى بالرّحمة أوّلًا يزيل السّيّئة ثانيًا.

⇐ لابدّ أن يصير هناك أمل.

وليس سرّا الآن بالنّسبة لكنّ أنّنا صرنا نسمع كلمة الانتحار بطريقة مؤذية! وتتكرّر! كلّه بسبب هذه الحالة أنّه هناك اضطراب، ليس هناك صبر، هناك فرح يوصل بالنّاس إلى حالة السّكر، إلى أن يغيب عقلهم!

يقابله: -من المؤكّد أن الدّنيا لن تستقيم لأحد- فأمام الشّيء الّذي يفرحك، سيأتي الّذي يحزنك؛ فأنت في هذا كوني سويّة، وفي هذا كوني سويّة.

على كلّ حال، ما يحصل هذا إلّا مع ضعف الإيمان؛ **فحلّ هذه المشكلة:**

✓ زيادة الإيمان.

✓ نشر بين النّاس أنّ الأمر بيد الله، أنّ الله على كلّ شيء قدير، إذا جاءت السّيّئة ربّنا يغيّرها، وإذا جاءت الحسنة لا تغنيك عن ربّ العالمين.

سريعًا سنترك **آية غافر**؛ والحقيقة في **آية غافر** هناك موطنان جميلان، وكذلك في **الشّورى** أيضًا، لكن دعنا نذهب إلى **الحديد**؛ لأنّها غاية في التّعلّق **بآية الرّوم**.

التّعليق على دليل موطن سورة الحديد (٢٣)

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

هذه الآية متعلّقة بالآية السّابقة. ما هي الآية السّابقة؟ ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، فالله -عزّ وجلّ- قدّر الأقدار وكتبها جميعًا، والمسألة كلّها أنّ هذه الأقدار هي الاختبار، يعني هي الّتي كأنّها ورقة الاختبار، ستجيبين بماذا تقولين.

هذا الخبر بأنّ كلّ الأقدار الله كتبها، وأنت في الدّنيا وظيفتك أنّه كيف ستستقبلين القدر حين يأتيك؟ هذه وظيفتك (ترضين، تسخطين، تفرحين، تبطرين، تقنطين)، ما هو وضعك؟

فالله -عزّ وجلّ- يقول لنا: كلّ شيء مكتوب من قبل أن يخلق الله السّماوات والأرض بخمسين ألف سنة. لماذا تتعلّمين هذه المعلومة؟ ﴿لِكَيلَا تَأسَواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُم﴾، ليس هناك حزن على أيّ شيء فاتك؛ لأن الفائت لم يكتب! ولو كُتب ما كان فاتك؛ ما دام فاتك إذًا هو ليس مكتوبًا.

انظري: كيف ستكونين هادئة، ولا تضاربي النّاس؟! لن تضاربي أحدًا لأنّ الفائت ليس مكتوبًا.

---

(١) الحديد: ٢٣.

الآن نحن شاهدنا في موضوعنا: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، **يعني** حتّى الّذي ﴿آتَاكُمْ﴾ فإنّه مكتوب، فأنت ما هو موقفك من الّذي أتاك؟ هذا الّذي أتاك تعرفين أنّه قد قُدّر، فهو ليس بقوّتك، ولا بجهدك، وأنت حتّى لو ابتعدت ولم تقتربي من هذا الّذي يُفرحك كان هو سيأتيك!

فأنت على ذلك -لأجل الآية السّابقة- حين يأتيك ما يُسيئك لا تقنطي! وحين تأتيك الرّحمة لا تفرحي فرح الأشر والبطر! هذا قد قُدّر!

فالّذي هو مطلوب منك: أنّك تعرفين أنّها هي أقدار مكتوبة، والّذي يُطلَب منك في الاختبار: ماذا ستفعلين أمامها؟

⇐ هل ستبتغين بها الدّار الآخرة؟ هل ستتقرّبين بها؟

⇐ أم ستفرحين بها وتشغلك عن الله؟!

يأتي بيت واسع، ونظيف، ومرتّب، خادم يساعدك:

⇐ فهل تفرحين به وتزدادين نومًا؟!

⇐ أو تفرحين به وتزدادين قيامًا في اللّيل، وعبادة، وقراءة للقرآن؟

وحتّى لو أتاك جهاز يساعدك في كذا، من الأعمال. هل هذا سيساعدك في القُربى إلى الله؟ أم أنّك ستنشغلين به وتنسين الأمر؟!

فالمقصد: كلّ هذا الّذي تملكينه تحت يدك، وكلّ ما يحصل لك؛ إنّما هو قدّره الله؛ اختبارك ماذا ستفعلين أمام القدر؟ لا تأسي على ما فاتك، ولا

تفرحي فرح بطر وأشر على ما هو يُسعدك، ويُدخل عليك السّرور، لا تفرحي به، يعني

- ✓ النِّعَمة، لا تفرحي بها أشرًا وبطرًا.
- ✓ والسّيّئة، أو الّذي فاتك من النِّعَم، لا تأسي عليه.

وبذلك:

- ⇐ يذهب الاضطراب تمامًا، وتصيرين هادئة.
- ⇐ وعينك لا تنظر لِمَا عند غيرك أبدًا.
- ⇐ وبهذا يطمئنّ القلب وتهدأ النّفس.
- ⇐ ويتفرّغ العبد لطاعة الله.

أسأل الله -عزّ وجلّ- أن يتقبّل منّا جميعًا.

جزاكنّ الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته